السنة الثالثة العدد ٢٢ ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٠٠

المَشرِق

المخيّلة وتواصل الافكار

بقلم الاب لويس رنزڤال اليسوعي

قد ورد في المشرق مقالة لطينة تحت عنوان « الاحلام » بحث فيها صاحبها الاديب عن الاحلام وكيفيّتها وخواصها · وبينا نحن نقتبس من فوائدها ونجتني من اثمارهـا اذ خالجت فؤادنا رغبةٌ شديدة في بسط الكلام عن احلام اخرى يراها الانسان لا في وقت منامه بل في حال يقظته ألا وهي سلسلة تمثُّلات ورُؤًى مخيّلته المتنوعة · نعم لهذه القوة فينا افعال وامور عجيبـة طالما شغلت عقول من تفرَّدوا للبحث عن حقائق الاشياء حتى اوجبت لها عنـد العامّة تسمية غايةً في الغرابة وهي حمقاء الدار (la folle du logis)

والحق يُقال ان المخيّلة اذا اطلقنا لها العنان قصدًا او سهوًا تتصرَّف تصرُّف فاقد اللب مختلّ الشعور فكم من مرة اخذت تشرد بنا تارةً ترينا بهجة جنّةٍ خضراء تسقيها المياه العذبة المترقرقة واخرى تصعد بنا الى قنّة جبل شامخ يدفق على ما لا حدَّ له من عباب البحر او رمال الفلوات او رياضٍ غنّاء · حينًا تنصب امام اعيننـا من حُرمنـا رؤياهُ من قريبٍ ونسيبٍ ثم تمثّـل لنا ما نظرناهُ او سمعناهُ في غابر العصر الى غير ذلك من تواصل التصورات التي تتعاقب في افكارنا كانهـا سلسلة متواصلة · وعليه فان الغرض من هـذه الخلاصة هو البحث عمّا اذا كانت تلك الصوَر الخياليّة مرتبطة ببعضها ارتباطًا حقيقيًا يمكن استخلاص قوانينها ووضع سننها او اذا كان تعقُّبها امرًا صدفيًا لا ينخرط في سلك المواضيع العلميّة · فرأينا تتمّةً للفائدة ان نقسم هـذه

العجالة الى بابين نستقصي في اولها مبدأ هذا الارتباط وعلّتهُ وفي الثاني نكشف القناع عن احكامهِ ونواميسهِ المستورة

ولا بدَّ قبل الخوض في هذه المسألة الوعرة من بعض التنبيهات :

١ انـنـا جريًا لدأب ارباب علم النفس (البسيكولوجيا) من معاصرينا نضمّ تحت عنوان المخيلة وتصوراتها كلّ ما يختص فينا بإحياء الماضي من ذكر الاشياء الخارجية مع اغراضها الامر الذي يتمّ بقوة الذاكرة الخيالية(mémoire imaginative) وإنعاش احوالنا الباطنية وهواجس ضميرنا (états de conscience) الى غير ذلك من الموادّ التي يدفعها معهُ سيلُ حياتنا العرِم. على انهُ ليس من قصدنا هنـا بسط الكلام عن ماهية هذه القوى وخواصّها وانما نقتصر كما سبقت الاشارة على توالي التصوّرات الدائرة في مخيّلتنا ليس الّا

٢ لمّا لم يتمّ لنا فكر دون صورة مادّية فنزّلنا احيانًا لفظة فكر في هذه المقالة منزلة الصورة الخياليّة التي تسبق وجوبًا افعال عقلنا وعليهِ فسيّان عندنا توالي الافكار وتوالي التصورات

٣ واخيرًا بما ان اعمال المخيلة تنتمي الى المركَّب البشري فلا عجب اذا كان شرحنا لاصولها وقواعدها شرحًا فيزيولوجيًا مبنيًا على حوادث وتأثيرات حيوانية لا عقليّة في حصر الكلام فيظهر من ذلك انّا لسنا من الذين يأبون الانتفاع بتقدُّم العصر والفوز بغنائمهِ في ساحة العلوم ما لم يكن هذا التقدُّم موهومًا يُخفي تحت جلباب المعارف الشريفة أطمار الكفر والبهتان. فتبًّا لتلك الصحف والمجلات التي بتسُّترها وراء متارس العلوم الموهومة تودع صفحاتها مقالاتٍ معرَّبة دون تروٍّ ولا ادنى انتقاد فانها بمزجها الغث والسمين والصحيح مع الفاسد تنفث في نفوس قرائها سمَّ كل ضلال

١ في مبدإ تواصل الافكار وعلّتهِ

قد سبق القول ان مخيّلتنا بمنزلة مستودع واسع الارجاء فسيح الجوانب ندَّخر ضمنهُ صور الاشياء التي اثّرت فينا سلفًا حتى اذا سنحت الفرصة ينهض بعضها من تلك السِّنة وتبرز متسربلةً بثوب الحياة متّشحة بحلاها. هذا ما يسمّيهِ المحدثون إحياء او انتعاش التـأثيرات (réviviscence des impressions) او تأثيرًا مُنعشًا او

العجالة الى بابين نستقصي في اولها مبدأ هذا الارتباط وعلّتهُ وفي الثاني نكشف القناع عن احكامهِ ونواميسهِ المستورة

ولا بُدَّ قبل الخوض في هذه المسألة الوعرة من بعض التنبيهات :

١ً انـنــا جريًا لدأب ارباب علم النفس (البسيكولوجيا) من معاصرينا نضمّ تحت عنوان المخيلة وتصوراتها كلَّ ما يختص فينا بإحياء الماضي من ذكر الاشياء الخارجية مع اغراضها الامر الذي يتمّ بقوة الذاكرة الخيالية(mémoire imaginative) وإنعاش احوالنا الباطنية وهواجس ضميرنا (états de conscience) الى غير ذلك من الموادّ التي يدفعها معهُ سيلُ حياتنا العرمِ. على انهُ ليس من قصدنا هنــا بسط الكلام عن ماهية هذه القوى وخواصّها وانما نقتصر كما سبقت الاشارة على توالي التصوّرات الدائرة في مخيّلتنا ليس الّا

٢ً لمّا لم يتمّ لنا فكر دون صورة مادّية فنزّلنا احيانًا لفظة فكر في هذه المقالة منزلة الصورة الخياليّة التي تسبق وجوبًا افعال عقلنــا وعليهِ فسيَّان عندنا توالي الافكار وتوالي التصورات

٣ً واخيرًا بما ان اعمال المخيــلة تنتمي الى المركَّب البشري فلا عجب اذا كان شرحنا لاصولها وقواعدها شرحًا فيزيولوجيًا مبنيًا على حوادث وتأثيرات حيوانية لا عقليّة في حصر الكلام فيظهر من ذلك انَّا لسنا من الذين يأبون الانتفاع بتقــدُّم العصر والفوز بغنائمهِ في ساحة العلوم ما لم يكن هذا التقدُّم موهومًا يُخفي تحت جلباب المعارف الشريفة أطمار الكفر والبهتان. فتبًّا لتلك الصحف والمجلات التي بتستُّرها وراء متارس العلوم الموهومة تودع صفحاتها مقالاتٍ معرَّبة دون تروٍّ ولا ادنى انتقاد فانهــا بمزجها الغث والسمين والصحيح مع الفاسد تنفث في نفوس قرائها سمَّ كل ضلال

١ في مبدإ تواصل الافكار وعلّتهِ

قد سبق القول ان مخيّلتنــا بمنزلة مستودع واسع الارجاء فسيح الجوانب ندَّخر ضمنهُ صور الاشياء التي اثَّرت فينا سلفًا حتى اذا سنحت الفرصــة ينهض بعضها من تلك السِّنة وتبرز متسربلةً بثوب الحياة متَّشحة بحلاها. هذا ما يسمّيهِ المحدثون إحياء او انتعاش التــأثيرات (réviviscence des impressions) او تأثيرًا مُنعشًا او

مُحيّا(١ . على ان صورةً واحدة هكذا مسترجعة في ذهننا لا تكاد تبقى وشأنها بل من عادتها ان تجرَّ في اذيالها حاشية من التصورات والافكار بحيث يصير من هذا التوالي كسلسلة او سلك من الافكار (train, processus) . فلو أعملنا ذاكرتنا فيما يتناوبنا يومياً من الاحوال الداخلية لوجدنا ان لذلك التواصل النصيب الاوفر من اوقاتنا لا أورد من بابه الّا مثلاً واحداً يقوم لنا مقام امثلة عديدة تشاكلهُ

اعترضت يوماً لنسيب اللبناني وهو يتمشَّى في ساحة نيويرك امرأة يلوح على محيّاها بعض المشابهة بأمهِ التي تركها في اصقاع جبل لبنان فاذا بصورة الام منتصبةً في ذهن الابن الذي يبعد عنها ألوفاً من الفراسخ . وما ادراك بصورة الام في قلب ابنها ؟ ألا تنظر نسيباً ضائعاً في لجج الافكار غارقاً في بحر الاوهام فيما ترى ما اصابهُ وما طرأ عليهِ من صروف الدهر ؟ — قد أصابهُ ما يصيب كل انسان يهجر وطنهُ ومسقط رأسهِ لانهُ بعد رؤيتهِ لأمهِ شاهد ولا مشاهدة العيان اختهُ الحبيبة ثمَّ البيت الذي ترعرع فيهِ ثمَّ قريتهُ ثمَّ شجر التوت المحدق بالدار الابويَّة ثمَّ نفسهُ متردّداً بين ارزاقهِ ثم نازلاً الى بيروت كي يركب البحر ثم السفينة التي اقلّتهُ الى اميركا مع ظروف سفرهِ العجيب الى غير ذلك . فقل لي ناشدتك الله لماذا رؤية تلك المرأة الغريبة قد أحيت في ذهن نسيب صورة أمهِ ؟ ثم كيف ان صورة الام أثارت في داخلهِ مجرى من الافكار يتبجّس ويتدفق تدفُّق المياه المنحدرة من اعالي الجبال

اسمعك تجيبني : انَّ الامر لسهلٌ جدًّا . امَّا رسم الوالدة فللمشابهة وامَّا سائر التصورات فلاتصالها بعضها — . سقياً لك ايها اللبيب قد أصبت المرمى غير انك لم تفز بعد بالقدح المعلَّى لانَّ كلامك في حاجة ماسَّة الى ايضاح ونشر طيّ . ورُبَّ سائل يسألك فما الداعي في المشابهة والملاصقة لإثارة اشمالٍ ما في مخيّلتنا ؟ — قلتَ : لنسبة وُجدت بين المتشابهين والمتصلين وهي كافية لتعليل هذه الظواهر الضميريَّة — على رسلك يا صاح وها اني أُبين لك ان تلك النسبة التي أُخذتَ بها لا تُغني عنك شيئاً في فضّ المشكل لانها امَّا ان تكون خارجيَّة محضة اعني بهِ لم يسبق اليها عقلنا ليُدركها وحينئذٍ لا عمل لها في قوانا الإدراكية فما تجديني مثلاً نسبة هذا البناء القائم امام عيني الى بانيهِ في امر

---

١) كما يقولون بالفرنسويَّة (impression revécue) فيجعلونها فعلاً من اصل وضعهِ لازماً من باب المتعدي المجهول

تصوُّري صورة هذا الاخير ان لم أُشاهده قطّ . وامَّا ان تكون تلك النسبة قد سبقت الينا معرفتنا على ان هذا ايضاً ليس ليُرضينا لان تلك المعرفة لا تتمّ الَّا في عقلنا (حيث ان الحس لا يدرك الَّا الخصوصيات) والعقل انما يقف على النسب بعد استحضار حدَّي النسبة . والحال في المثل المتَّخذ آنفاً ماذا أُحضر في ذهن نسيب صورة او فكر الحدّ الثاني عند حضور الحدّ الاول اعني بهِ كيف تمثّل لهُ في غربتهِ بمجرَّد صورة امهِ رسم دارهِ والقرية المنسوب اليها الى غير ذلك

وقائل يقول انما أُنجز ذلك بقوة ذاكرتي التي من شأنها ان تُمثّل لي الاشياء في الفرصة الملائمة — فأردف قائلاً : وما هي يا ترى الفرصة الموافقة ومن يُطلعني على الاوقات المناسبة لذكر هذا الشيء دون ذاك الآخر ؟

ان مثل هذا الجواب يؤجل حلّ المعضل بدلاً من ان يفضهُ بتاتاً فضلاً عن انهُ يميّز بين الذاكرة الخيالية والمخيلة تمييزاً كلياً مع كون الاولى نوعاً من جنس الثانية

فإذا ثبت ممَّا تقدَّم ان تواصل الافكار فينا ليس امرًا مادياً صرفاً اعني بهِ مستقلاً من كل معرفة ولا فعلاً عقلياً محضاً فلعلَّهُ اذاً صنفٌ من التأثيرات « البسيكو فيزيولوجية » التي بانتمائها الى المركَّب البشري تتوسط بين عالم الروحانيات والجسدانيات ولا نكير اذ ذاك انَّ رصد ومراقبة ما يجري فينا اعتياديًّا من هذا الوجه من اقوى الذرائع لقطع الصعوبة التي نحن في صددها فلنتتبع اذاً علماء البسيكولوجيا من الانكليز والفرنسويين الذين بحثوا عن مسألة توالي الافكار اشد بحث فهم جميعهم صوت واحد ويدٌ واحدة لوضع هذه القاعدة التمهيديَّة الموسومة بقاعدة الاتصال والالتصاق الضميري (contiguité dans la conscience) وهذا منطوقها : لا يحدث توالٍ في افكارنا الَّا بسبقهِ « في ضميرنا » تواصل بين تماثيل مخيلتنا (١

وممَّا يأتي مؤيدًا لذلك تهذيب الاحداث وتلقينهم مبادئ القراءة فان الصبي لا يقف تماماً على معرفة حرفٍ من حروف الهجاء ما لم يرَ رسم الحرف على الورق او اللوح ويسمع « في الحين ذاته » صوت الحرف يتلفظ بهِ الاستاذ وبما ان هاتين الصورتين وُجدتا

١) راجع رابيار (Rabier : *leçons de philosophie*, I, 183 *et seq.*) والمراد بذلك انَّهُ لولا اقتناء صورة الام مثلاً مع صورة البيت والاخت الخ في مخيلة نسيب قلما يكون مرةً لَمَّا تيسر لهُ ان يفتكر باختهِ ثمّ بدارهِ لمجرَّد تذكرهِ بأُمهِ

« في آنٍ واحدٍ ضمن نفسهِ » نتج من ذلك انهُ فيما بعد يرى في مخيلته رسم الحرف كلما يسمع التلفظ بهِ او بالعكس

على ان تربية الحيوانات الغير الناطقة ليست على غير هذا النمط لأنَّا نرى الحوذيَّ اذا قرن مراراً صراخهُ بضرباتٍ من سوطهِ لا يلبث ان يكتفي بالصياح لإنعاش الدابة دون الالتجاء الى الضرب لان الحيـل تشعر بوجع القرع كلما يطرق مسامعها صوتُ السائس لاجتماع ذينك التأثيرين في مخيلتها سابقاً

ولعلماء البسيكولوجيا حوادث تواصليَّة شتَّى يوردونها في مصنَّفاتهم ويقسمونها الى قسمين : الى متجانسة (associations homogènes) ومتباينة (assoc. hétérogènes) بيد ان مرجع جميعها الى الاتصال الباطني فالمتجانسة هي التي تنتمي الى حسٍ واحد كالبصر مثلاً فان مجرَّد صورة رأس صديقي يجيء في صورة جسمهِ والغرفة التي أَلِفنا الانضمام فيها وكل ما اعتدتُ ان اشاهده مع مشاهدتي شخصهُ العزيز. وامَّا المتباينة فهي التي تُعزى الى حواسٍّ مختلفة مثال ذلك الجرس اذا وقعت عليهِ عيني رنَّ صداهُ في أُذني. ومنهُ ايضاً ان رؤية الليمون الحامض تولد في فمي طعمة حامضة الى غير ذلك من الحوادث التي تطرأ علينا يوماً دون ان نعيرها عين الانتباه .

ولمعترض أن يوقفنا عند هذا الحد بقولهِ: « هب ان الاتصال الضميري هو اصل كثير من تواصلات افكارنا لكني ارى داعياً آخر لمثل هذه الحوادث ألا وهي المشابهة ومع انك رفضتها سلفاً كانها غير صالحة لشيء: ها انا ابين لك باجلى برهان انها العلة الوحيدة لتوالي التصورات بعض الاحيان دون الاتصال. فقل لي ناشدتك الله اين الالتصاق في مخيلة نسيب المحكي عنهُ بين صورة تلك المرأة التي اعترضت لهُ في ساحة نيويورك وصورة امهِ اذ أنَّهُ لم يعاينها قط في حينٍ واحدٍ وبالتالي لم تلتقِ صورتهما في مخيلتهِ أليست المشابهة وحدها التي صرفت افكار نسيب من المرأة المجهولة الى ذكر امهِ ؟ »

لا ننكر ان هذا الاعتراض من اللطافة ودقة النظر بمكانٍ فضلاً عن أنَّهُ مبني على الاختبار اليومي لكننا لسنا لنسلّم لخصمنا نقطةً تنافي ما اثبتنا سابقاً اي انَّ كل حادث توالي افكار يُعلَّل تعليلاً كافياً بحادث التصاق في الضمير بل يُسند اليهِ وجوباً. فالجدال الذي نحن فيهِ الان يكون قد حُسم تاماً اذا بيَّنَّا ان التوالي بالتشابه يمكن ارجاعه الى هذا الارتباط الضميري فنقول ان الاشياء المتشابهة هي التي تتفق في بعض خواصها

وليس من الضروري ان تضاهي بعضها بعضاً في جميع صفاتها. فهب اذاً ان تكون الحروف ا ب ت ث عبارةً عن صفات احد المتشابهَين والحروف ا م ت ل عبارةً عن صفات الآخر فيظهر جلياً ان نفس الألف والتاء اللتين كانتا تتّصلان بالباء والثاء في الحد الاول قد صارتا متّصلتين بالميم واللام في الحد الثاني ومن ثمّ لا عجب ان رؤية العلامتين ا و تَ في الحد الثاني تسبب في ذاكرتي احيآ العلامتين ب و ث المجاورة لها في الحد الاول وبالتالي الحد الاول باجمعهِ. وبعبارة اخرى كاني بالمماثلين قد التقيا في ضميري بواسطة صفاتهما المشتركة فجاز اذ ذاك القول بانّ كل حادث تتوالى بسببهِ صور خيالية يفرض اتصالاً بين تصورات باطنية

على أنّا لسنا نتخذ هذا الاتصال الداخلي أساساً ومبدأً وحيداً لظواهر المخيلة بل انا نعتبرهُ كتمهيد بعيد لها لكنهُ ضروري لوجود تلك الحوادث لانهُ يأتي بشرحٍ مستوفٍ لهذه المسألة الحاضرة. والدليل على ذلك ان لو افترضنا عدم وجود اثر من آثار اتصالٍ قد سبق في المخيلة لقصر هذا الاتصال المطموس كل القصور عن تعليل اتصالٍ سواه. والنتيجة وجوب استطلاع مزيّةٍ من شأنها ان تبقي فينا آثار الحوادث البسيكولوجية السالفة فتكون هي الرابطة بين الاتصالات الضميرية الاصلية والفرعية اي بين المنعِش والمنعَش. فماذا عسى ان تكون تلك الخصلة الفريدة الحافظة ضمننا قسماً من حياتنا الغابرة أليست هي العادة؟ نعم للعادة فينا افعال جلية تعمّ معظم اعمالنا اليوميَّة ممّا حمل اهل النُّهى على وضع هذه القضية بعد المراقبة الدقيقة وهي: «ان العادة هي في الحقيقة علّة توالي تصوراتنا»

بيد ان هذا الحكم في حاجةٍ الى اوفى شرحٍ ونحن لا نضنُّ بهِ على قرّائنا الكرام ليكونوا على اتمّ بصيرة من الامر فنقول: ١ً مما لا يشوبه ريب ولا بد ان يشعر بهِ من دأْبهُ التروي والتفكّر في تقلباتهِ الداخلية أنّنا بعد اتمامنا لفعلٍ من افعالنا الشخصية يبقى فينا ميل وسهولة لتكراره. والحق يقال اننا اذا شاهدنا عدّة اشياء في آنٍ واحد او في اونةٍ متواصلة تواصلاً غير منقطعٍ يحدث عادةً انّ مُثول واحدٍ منها امام عيننا او مخيلتنا يدعونا ويميل بنا الى ان نضمها من جديد في تصور واحد وبموجب الترتيب الذي رُتّبت بهِ في ذهننا لاول مرة. ومما يدعم ذلك على نوعٍ يُزيل كل شبهة ان قواعد اقتباس عادةٍ من العوائد تنطبق اي انطباق على ما نراه من ظواهر توالي الافكار

والحال كما انّ العادة تسمو وتزداد بتواتر العادة الناشئة منهُ كذلك قوّتنا لجمع التصورات وإلحاقها بعضها تكبر فينا وتتمكّن بنا اي تمكن بتكرار الافعال المناسبة. ولذا ترى من يراجع امثولةً او قطعةً من الشعر عدة مراتٍ يحفظها في ذهنهِ باعظم سهولة وادقّ أمانةٍ لان الذاكرة من النفس كاليد من الجسد. وكم نشاهد من الموسيقيين البارعين يكثرون من ايقاع لحنٍ واحدٍ على آلة من آلات الطرب لمجرَّد رغبتهم في تمرين يدهم حتى تنتقل بكل سرعة من محلّ الى اخر دون ان يأبهوا بها وكما يقولون « حتى تأخذ العادة »

٢ٌ وعلاوةً على ذلك كما أننا نرى فعلًا واحدًا اللهمَّ اذا كان شديد التأثير من شأنهِ ان يولد عادة فكذلك ربما يكون المشهد الواحد كافيًا ليسبب صنفًا من تواصل الافكار فيصبح في نفسنا بمنزلة عادةٍ. فما ادراك بما يثيرهُ من اللوعات موت عزيزٍ في قلب صديقهِ او من وفاة وحيدٍ في كبد والدتهِ اليست مثل هذه الرؤية تستقرّ في ذهن المصابين منتصبةً امام أعينهم كأنما تقرّبوا من فراش يتقلب عليهِ مريض او حضروا جنازة فقيد

٣ٌ ان العادة كما سبق القول تُعيد الافعال بنوع انها تحفظ الترتيب والنظامَ الاوّلين بحيث يستمر دائمًا مصدر العمل واحدًا لا يتغيّر. ولذا نرى انهُ من المستحيل علينا إعادة سرد حروف الهجاء عكسًا كما نسردها طردًا وكذلك يمتنع على الموسيقي مهما اشتهر في مزاولة فنّهِ ان يراجع نغمات لحنٍ من الالحان بقلب ترتيبها تمامًا

٣ٌ في احكام تواصل الافكار ونواميسهِ

قد ثبت ان انضمام الافكار اساسهُ الاقتصى في الضمير وعلّتهُ الدنيا العادةُ. فبقي علينا ان نبيّن ماهيّة تلك العادة وكيفيّة عملها فيما نحنُ بصددهِ. فنقول اولًا إن العوائد المنوه بها في المسألة الحاضرة ليست هي عوائد روحيّة محضة ممّا تكون علاقتهُ مع الارادة لا مع الجسد كما أننا بالارادة نكتسب الفضائل كالقناعة والتواضع الخ. والدليل الواضح على ذلك اننا نشهد تأثرات التوالي في الحيوانات التي ليس فيها شيءٌ من العقل فكما ان التصور هو فعل من افعال المركب الانساني كذلك العوائد المحكي عنها هي عوائد فيزيولوجية لا قيام لها بمعزل عن تأثيرات المادة. فاقتضى بنا اذًا ان نطلب حلّ

المسألة النهائي في تكيُّفات الهيولى الجسمية فينا او بعبارة اخرى ان ما نسميه عوائد هي في حصر الكلام تقلُّبات وحالات جسديَّة ينتج منها بواسطة الاعصاب سِلكُ تأثيرات يرنّ صداها في النفس ذاتها وبالتالي في العقل

وهاك الآن الشرح الفيزيولوجي لكيفيَّة عمل عوائدنا التواصلية. من المعلوم لكل من لهُ ادنى المام باحوال المركب البشري ان للجهاز العصبي نصيباً في جميع ما نباشرهُ من الاعمال حتى الاعمال الروحيَّة المحضة اذ انها في حالتنا الحاضرة لا تقوم الَّا بمساعدة الجسد فكم بالاحرى اذًا افعال التصور والتخيُّل المشتركة بين الانسان والحيوان كما سلف بيانهُ. والحال بازاء كل حادثٍ خيالي تكيُّفٌ في الدماغ وتقلُّبٌ في الجهاز العصبي الذي ليس هو سوى تشعُّب المادة الدماغية في اعضاء الجسم. ومؤدَّى قولي اني مثلًا كلَّما اعملتُ مخيلتي في شيء طرأ على دماغي انفعال ماديّ على شبه ضغطٍ او تقلّص او غير ذلك من التأثيرات المحسوسة التي مع خفتها المفرطة لا بد ان تنكشف يوماً لانوار الامتحانات العلمية وخصوصاً لاشعة رنتجن

فترجع الان الى ما بين الحالة المنعِشة والمنعَشة (état suggestif, état suggéré) من العلاقات المادّية ليظهر لنا جليًّا حظّ الجهاز العصبي فيهما. وتسهيلًا للفهم فلنفرض انَّ الحالة المنعِشة « اي التصوّر المسبب لسياق تصوراتٍ اخرى » هي صورة امّ نسيب الموما اليها والحالة المنعَشة صورة دار الشاب وجميع لواحقها. وعليه اذا اشرنا الى صورة الوالدة في مخيلة ابنها بالعلامة « ا » يكون التكيف الدماغي او الحركة العصبيَّة المحاذية « اَ ». كذلك فلنسمِ « ب » هيئة الدار التي طالما تبعت في ذهن الابن صورة امهِ تكون حينئذٍ الحركة العصبيَّة المناسبة « بَ ». فلنبيّن الان كيف تتعاقب الحركتان العصبيَّتان وبالتالي الصورتان المقابلتان لهما في حين تلاحق التصورات. فلبيان ذلك لا بُدَّ من تسليم امرٍ وهو ان الحركة العصبيَّة انتشرت من طريق اَ الى بَ (trains of motion, tracts of conduction) وهذا لكثرة اتباعها تلك الخطة سلفًا. فكم وكم من مرة صورة الدار وكل ما تحويهِ تبعت او بالاحرى صحبت في دماغ نسيب صورة امهِ ايام تمتُّعهِ برؤيتها. ومن غريب الامور الذي يُجمع عليهِ معظم الفيزيولوجيُّون مع انهُ لم يثبت حتى الآن بالاكتشاف ان مرور تلك الحركة العصبيَّة من نقطة اَ الى بَ لا تتمّ دون ان يبقى لها اثر ماديّ كشبه تلَم او اخدود

(sillon) في تلافيف الدماغ بين المركزين أ وب . وهناك الآن مجرى مفتوحاً بين هذين المركزين . فما المانع اذ ذاك من تنقل الحركة الدماغية من أ الى ب اذا انتعش المركز أ لسبب انتعاش الصورة ا في المخيلة ؟ لا مانع البتة بل يحدث اجتذاب عظيم للسيل العصبي (l'influx nerveux) ليمرّ بتلك الطريقة المطروقة كما تنحدر المياه وتنصب في مجاري الانهار لا تلوي على الشواطئ وكما يسرع السيل الكهربائي في نفوذه للاجرام الناقلة بدلاً من غير الناقلة . وهذا مبنيّ على قاعدة طبيعية قريبة المتناول يدعونها قاعدة اقلّ المقاومة (la loi de la moindre résistance, le principe du moindre effort) اعني بهِ ان التأثيرات المادية تتبع الخطة التي فيها كانت الموانع اقل منها في غيرها

هذا ايضاحنا لحوادث توالي الصور وهو كما يظهر للعيان شرح طبيعيّ وفيزيولوجي محض والفضل فيه كلّهُ لعلماء البسيكولوجيا المعاصرين وخصوصاً للدكتور جامس (James) الاميركي الذي اتبعهُ موسيو رابيه (Mr Rabier) وعن هذا الاخير اخذنا خلاصة مجالتنا

ومما يجدر التنبيه اليه ان هذا التعليم ليس الّا مذهباً ذهب اليهِ اغلب من أمعن النظر في ظواهر المخيلة على انهُ مذهبٌ تتغلّبُ ارجحيتهُ على سواهُ لتمام انطباقهِ على كل ما يتسنّى لنا شعورهُ واختبارهُ في دائرة حياتنا الشخصية . فما اوفقهُ مثلاً لكلّ ما اثبتنا عن العوائد واكتسابها وشدتها لاننا اذا سلّمنا بوجود تلك المجاري والاخاديد بين المراكز العصبية التابعة للمراكز الخيالية لهان علينا امر الميل المستقرّ فينا الى إعادة فعل تصوري بعد مباشرتهِ مرةً ثمّ يتضح جلياً كيف ان تصوراً واحداً بشرط ان تشتدّ وطأتهُ في مخيلتنا من شأنهِ ان يكسبنا عادة اذ ان التأثير مساوٍ للشدّة . ومن المحتمل ان تكون درجة التأثير كافية لفتح تلمٍ في المادّة الدماغية اذا كانت قوّة التصوّر مفرطة كما مرّ في المثلين المذكورين آنفاً وهما موت حبيب او ولدٍ الى غير ذلك

ويتبيّن لنا اخيراً لايّ علةٍ العادة تُعيد سرد افعالنا واحوالنا الضميرية دون تغيير في ترتيبها لانّ السيل العصبي الجاري في مجرى معلوم لا يستطيع ان يقلب خطّتهُ ويسرع بخلاف منحدرهِ او يعرج على غير مواقفهِ

ان هذه الاعتبارات وغيرها التي لا يسمح لنا بسطها ضيق المكان آئلة كلها الى توطيد

اعتقادنا بصحة وصواب رأي المعاصرين في افعال الخيلة ولولا اعجابنا به واستحساننا الكامل لجميع اصولهِ ونتائجهِ لاتفاقها التامّ مع المبادئ الفلسفية والطبيعية لما كنّا لنُثبتهُ في هذه المجلة . على انهُ اذا ذهب احد الادباء غير هذا المذهب وارتأى غير رأينا فليُتحفنا باختراعهِ وما تجود به قريحتهُ او اذا وجد مغمزًا في التعليم الآنف الذكر فليُبدِ بملاحظاتهِ ونحن ان شاء الله نبادر الى اجابتهِ وازالة شبهتهِ والله الموفق الى الصواب والسلام

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٢٠ كنائس لبنان القديمة

نخال قرَّاءنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكنائس القديمة في لبنان بعد ما كرَّرنا ذكرها في فصولنا السابقة . وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لأنّنا لسوء الحظ لم نتمكّن من زيارة كلّ كنائس لبنان القديمة . ثمّ ان كثيرًا من هذه البيع قد خربت في مدّة هذه العشرين سنةً اذ ذهب عنها رونقها القديم وذلك لغيرةٍ محمودة في اهل لبنان حملتهم على تجديد بناء كنائسهم او ترميمها لولا انّهم حرمونا من بعض الآثار الجليلة الناطقة عن احوال سلفائهم الافاضل وعليه فقد اسرعنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتدَّ يدُ الخراب الى الكنائس الاخرى العهيدة . وغايتنا من هذه النبذة ان نبيّن للقرّاء اجمالًا ما اتّصفت به هذه البنايات المقدَّسة وما هي خواصها التي تفرَّدت بها في لبنان .

لا مشاحّة في انَّ لبنان يتفاخر على غيرهِ من الاصقاع بوفرة كنائسهِ . فانّك لا تكاد تدخل قريةً منهُ بل مزرعةً من مزارعهِ دون ان تلقى لها كنيستها ولعلّك تجد في القرية الواحدة اللهمّ اذا كانت متوسّطة في الكبر كنيستين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق المئتي سنة تراها في هندستها

اشبه بيوت القرى لا تختلف عنها ألا بسعتها. فأنها على هيئة مكعّب مستطيل مبنيّة بالحجارة والملاط لها على جوانبها ابواب ونوافذ. وفوقها سطحٌ ترى على احدى حافاته قبّة للجرس لا تظهر بينهُ وبين الكنيسة علاقة هندسيَّة. وقد استُبدل السطح منذ عهد قريب بسقفٍ مغطى بالآجرّ الاحمر فزادت بذلك الكنائس بُعدًا عن هيئة المعابد الدينيَّة. وان سألتَ هل لهذه الابنية طرزٌ هندسيّ أجبنا أنَّنا نجهل ذلك ولعلَّ بُناتها انفسهم لم يدروا ايَّ طريقةٍ هندسيَّة جروا عليها في هذه العمارات

لكنَّ الامر لم يكن كذلك في سالف الاعصار. ولو بحثنا لوجدنا لاهل لبنان في القرون الغابرة طريقةً هندسيَّة في بناء كنائسهم كنّا نودّ لو يحييها المهندسون الحدثون في المعابد التي يشرعون بتشييدها او يستجدّون بناءها

فتُرى اين نجد امثلةً لهذه الابنية العتيقة ؟ أفي جنوبيّ لبنان او مقاطعة المتن ؟ كلّا لأنَّ الموارنة لم يدخلوا هذه الاصقاع منذ زمن مديد. وتزيد على ذلك انَّ دخولهم في نفس كسروان ليس بقديم كما بيَّنا الامر سابقًا في المشرق في نبذتنا عن فرا غريفون (٥٦:١) ثمَّ في ردّنا على مقالة « لاحد العلماء » أُدرجت في الروضة. وعندنا انَّ الموارنة لم يتوطّنوا كسروان قبل القرن السادس عشر وهو قولٌ يمكن تأييدهُ بأدلّة عديدة لعلّنا نذكرها في مطاوي مباحثنا هذه عن آثار لبنان. وحسبنا اليوم ان نقول أنَّهُ لا يوجد بين اديرة كسروان العديدة ديرٌ واحد يسبق عهدهُ القرن السابع عشر(١ وكذلك لم نطّلع في تواريخ الموارنة على ذكر رجل من مشاهيرهم اصلهُ من كسروان قبل القرن السادس عشر. واذا جاء ذكر الموارنة في تآليف الصليبيين فلا نراهم يذكرونهم الّا في البلاد الواقعة بين طرابلس وجبيل امّا جنوبي نهر ابراهيم فلا نرى لهم فيهِ اثرًا. وكذا قُل عن اديرتهم القديمة وكنائسهم فانّها كلّها في شمالي نهر ابراهيم كما انَّ اصل قدماء بطاركتهم واساقفتهم من البلاد نفسها

فيتّضح من هذه الحقيقة امران الاوّل انَّ لآثار كسروان اليونانيَّة الرومانيَّة شأنًا اعظم من آثارهِ المارونيَّة. والثاني انَّ من يطلب امثلةً تطلعهُ على هندسة الموارنة القديمة لكنائسهم الأجدر بهِ ان يطلبها خارجًا عن كسروان

١) راجع كتاب الخوري منصور طنّوس الحوري في المقاطعة الكسروانية ص ٢٨. وتاريخ الموارنة للدويهي ص ٢٠٣

وفي واقع الحال اذا اجتزنا نهر ابراهيم وتوغَّلنا في بلاد جبيل وجدنا عددًا وافرًا من هذه الكنائس. وهذا العدد يزيد على قدر مسيرنا الى الشمال. ولا غرو لأن هذه الاصقاع هي مهد الامَّة المارونيَّة وموطنها الاوَّل درجت منهُ فامتدَّت في انحاء لبنان فجهات سوريَّة فأقطار المشرق حتى بلغ ابناؤها في عهدنا الغرب ودخلوا العالم الجديد. فان وُجد شيء من آثار ابنيتها الدينيَّة القديمة فهي عند مركزها الاوَّل وفي محلّ عزّها

*

قد اجمع علماء العاديَّات انَّ لهندسة الكنائس المسيحيَّة منذ بدء النصرانيَّة خواص مشتركة تشمل كلَّ البلاد إن غربيَّة وإن شرقيَّة مع ما يُرى فيها من الاختلافات الطارئة عليها بسبب تقلُّب الاحوال ودواعي الظروف. ومن هذه الخواص تقسيم الكنائس المسيحيَّة سالفًا الى ثلاثة اقسام الحنيَّة او المحراب (abside) ثم السوق (nef) ثم الرواق او الدهليز (portique). وبيع الموارنة القديمة لا تشذُّ في ذلك عن غيرها من معابد المسيحيين العهيدة

فاذا اعتبرنا اوَّلًا هيئة الحنيَّة وجدناها شبيهةً بالحنايا اليونانيَّة اي انَّها مجوَّفة في الداخل ناتئة في الخارج على شكل مستدير كما ترى في كنائس اهدن وكفرحي ومار نهرا وسيّدة سمر جبيل ومار ضومط في تولا ومار الياس (كنيسة واقعة بين تولا وعبدلّه) ومسرح ومجديدات وادّه (في بلاد البترون) وادّه (في بلاد جبيل) وفي جوار ادّه هذه عدَّة معابد وبيع بُنيت على هذا المثال

هذا ولم ننظم داعل في سلك القرى المذكورة مع انَّ كنيستها المتهدّمة ذات حنيَّة ظاهرة الى عهدنا. لأننا نظنّ انَّ هذه الكنيسة كانت في الاصل هيكلًا للاصنام ثمَّ حوَّلها الاهلون الى معبدٍ مسيحيٍ على اسم القديس تادروس الشهيد. وبين ردمها جدران مائلة حسنة البناء فيها آثار خطوط كوفية مطموسة. وترى مثل هذه الخطوط في حلتا في كنيسة السيدة القديمة. وكنيسة داعل المذكورة يزورها المتاولة ويكرمونها ولهم عند اطلالها سنديانة كبرى لا يمسُّها احد

ولو أردنا ان نسرد اسماء كلّ الكنائس القديمة المارونيَّة التي جُعل لها حنيَّة مستديرة لطال بنا الكلام. ولعلَّ المشكاة التي يجعلها الموارنة وراء المذبح الكبير مثال صغير لهذه الحنايا القديمة اتَّخذوها كذكرٍ لها. ولا ريب انَّ الموارنة اهملوا بناء الحنايا في

كنائسهم يوم اخذوا يتقرّبون في مناسكهم وطقوسهم من الكنيسة اللاتينية (١ ويقتدون بها في شؤون كثيرة. كما لحظ ذلك مرارًا مؤرخو الموارنة انفسهم (٢

هذا وقد اسفنا على انَّ البُناة الذين سعوا في ترميم بعض الكنائس القديمة هدموا الحنايا السابقة او غيّروا صورتها ما امكن. فترى مثلًا الحنايا الثلاث التي كانت في كنيسة مار دانيال في حدث الجبّة قد باد أثرها تمامًا

ومن خواص البيع المارونيّة القديمة قبابها . وممَّا استحسنَّاهُ من هذا القبيل قبّة كنيسة مار الياس بين عبدلِه وتولا وهي تشبه قبّة كنيسة جُبَيل . بيدَ انَّ هذه الكنيسة مهملةٌ يتنازع ملكها اهل القريتين

ولكثيرٍ من الكنائس دهليز او رواق مقبَّب الشكل كما ترى في كنيسة كفرحي وفي كنيستي بجديدات اعني مار نيقولا ومار تادروس وفي كنائس مار يوحنا المعمدان في اده (جبيل) ورشكيدا ومسرح

هذه السمات الثلاث اي الحنيَّة والقبَّة والرواق هي التي تعمُّ كنائس الموارنة قديمًا اللهمَّ الَّا الدهاليز فانَّنا لم نجدهُ في قسم منها

هلمَّ نعتبر الآن ما اختصَّت بهِ بعض هذه الكنائس دون غيرها . فمن ذلك ان بعضها كان ذا ثلاثة اسواق كبيعة جبيل وان اعترض علينا احد بانَّ هذه الكنيسة من بناء الصليبيين فلا علاقة لها مع كنائس الموارنة أحلناهُ الى مثل كنائس أخرى بُنيت في وسط المقاطعات المارونيّة كبيعة معاد ورشكيدا ومار جرجس في اهدن

فكنيسة معاد من اجمل كنائس لبنان بناءً وهندسةً لولا انَّ مرمّميها لم يعرفوا قدر الآثار القديمة فانهم لم يحسنوا إصلاحها وطمسوا كثيرًا من محاسنها وأزالوا حنيَّتها ومحوا نقوشها البديعة وكان لهذه الكنيسة ثلاثة اسواق غير انَّها اقصر من كنيسة جبيل ودونها في العلوّ . ولعمُدها رؤوس اكلّة من الطرزين الهندسيّين الاقدمين اي الطرز اليوني (ionien) والدوري (dorique). اصلها من بقايا هيكل

---

١) ومنذ ذلك العهد ايضًا ترك الموارنة بعض العادات الجارية عند اليونان وباقي الطوائف الشرقية . ولعلَّهم تخيَّلوا انَّ بناء الحنايا من الابنية المخصوصة بالروم

٢) راجع مقدّمة كتاب الدويهي المنون بمنارة الاقداس (ص ٧)

قديم مع آثار أُخرى راجع ما كتبناهُ عن معاد في المشرق (٣: ٥٤٤). وفي الكنيسة المذكورة قبور ترتقي الى متوسّط القرون. وبازاء معاد قرية تدعى صغار لها كنيسة ذات سوقين في اعلاهما حنيّتان

امّا كنيسة رشكيدا فتستحقّ ذكرًا خصوصيًا لقلّة شهرتها. والحقّ يقال ان الدهش اخذ منّا مأخذهُ لمّا صادفنا هذا المعبد الجميل في مزرعةٍ حقيرة مجهولة يسكنها المتاولة على مسافة عشر دقائق من عبرين

فلكنيسة رشكيدا رواقٌ واسع كانت سعتهُ في سالف العهد اعظم منها اليوم. والمكان باسم القديس جاورجيوس الشهيد لهُ ثلاثة اسواق مثل كنيسة معاد والسوق الاوسط ينتهي بحنيّة وراءها قبّة كبيرة او بالاحرى ثلاث حنايا يندهش لمرآها الناظر. فطلبنا لهذه الصورة الهندسية الغريبة شرحًا يكشف لنا سرّها المكنون فغلب ظنّنا انّ الكنيسة كانت سابقًا اكبر منها اليوم فرمّمها البُناة واقتصروا منها على هذا القسم الباقي. ولإثبات هذا الظنّ ادلّة تتبادر الى ذهن زائرها ولولا خوف الاطالة لعرضناها هنا. ونكتفي اليوم بأنّا عرّفنا القرّاء بوجود هذه التحفة الهندسيّة وسنلمح اليها في مطاوي الكلام غير مرّةٍ (١

ومن الكنائس القديمة الجديرة بالاعتبار كنيسة حدتون كان بقي منها بعض الاخربة قبل سنين قليلة. فلمّا بُنيت البيعة الجديدة تضعضعت تلك البقايا دون ان يمكنّا آنئذٍ زيارتها. ولرينان في وصفها فقرةٌ موجزة اثبتها في بعثتهِ الفينيقيّة (ص ٢٥٥) فزاد بمطالعتها أسفُنا على فقد هذا الأثر البهيج. وكان في هذه الكنيسة عمودان تزينهما الكتابات القديمة التي رسمها رينان رسمًا لا يكاد يُستخلص منهُ معنًى. وكلُّ هذه الآثار من عَمد وجدران قد طُمست وقت البناية الجديدة

وقد تفضّل حضرة الخوري نعمة الله نصّار فارسل الينا كتابًا ضمّنهُ عدّةَ افادات عن هذه الكنيسة الجميلة فقال في وصفها « انّها كانت ذات ثلاثة أسواق وفيها سبعة ابواب ثلاثة لجهة الغرب ضمن دهليز مُتقن وبابٌ لجهة الجنوب ولهُ ايضًا دهليز خاص وبابٌ للشمال ضمنَ دهليز طبيعي منقور في الصخر وبابان على جانبي الحنيّة وهي كانت

---

١) زعم رينان في بعثة فينيقية انّ في جدار هذه الكنيسة كتابةً قديمةً استدلّ عليها. وعندنا انّ لا وجود لهذا الأثر لأنّ الاهلين يجهلونهُ مطلقًا

غاية في الحسن تقوم على ذاتها ووراءها المؤفه (السكرستيّا) فُتح لهُ نافذةٌ جنوبيّة. وكان لهذه الكنيسة اربع قناطر رفيعة اثنتان للجانب الايمن واثنتان للأيسر يتعلّق طرف الواحدة بجانب الحنيَّة وطرف الاخرى بالحائط الغربيّ »

فهذه التفاصيل تنبئنا بأنَّ كنيسة حدتون لم تُشبه غيرها من الكنائس السابق ذكرها وهي كلّها مقبّبة ذات باب واحد ليس الّا. اما العواميد التي كانت في داخلها فنُرجح انَّها نُقلت اليها من بناية قديمة كهيكل وثنيّ او غير ذلك

وكان حضرة الاب نعمة الله سألنا في كتاباته مرارًا ان ندلَّهُ على اسم اي قدّيس شيّدت هذه الكنيسة لأنَّهُ تحقّى في السؤال عن الامر لدى العامّة وبحث عن تقليد الشيوخ فلم يفز بالمرام

قلنا انَّنا نحن ايضًا بحثنا عن هذا في ما تيسَّر لنا من التآليف فلم نحظَ بالمقصود. ولعلَّ ذلك يمكن استخلاصهُ من كتابة يونانيَّة دلَّنا عليها اهل حدتون. وهذه الكتابة كانت مكتوبة على طوق من النحاس كانت تُناط به ثُريّا او ما شاكلها. ومضمون الكتابة ما تعريبهُ: « في عهد حنَّا كاهن مار الياس » يريد كنيسة مار الياس. فيترجح من هذا ان الكنيسة المذكورة كانت على اسم القديس اليَّا النبيّ لأنَّ لحدتون كنيسة أُخرى قديمة مخصّصة بالعذراء الطاهرة وهي باقية الى اليوم

*

هذا وان سياق كلامنا عن رشكيدا ومعاد وحدتون قد بلغ بنا الى ان نبسط المقال عن النقوش التي كانت الكنائس المارونية مزيّنة بها. ولا مراء انَّ تصاوير كنيسة معاد كانت بديعة جدًّا كما ينبئ على ذلك ما بقي منها على جدرانها وقد ذهب اكثرها بترميم محراب الكنيسة. وممَّا افادني شيوخ القرية انَّهم لو ازالوا الردم الذي هناك لوجدوا امثالًا تصويريَّة حسنة من جملتها صورة مار يوحنَّا مارون. وفي تاريخ الموارنة للدويهي ما يؤيّد زعمهم قال (في حاشية الصفحة ٣٦٨): « وفي حنايا (يريد كنيستي معاد وبجديدات) مكتوب « ان الله صباؤوت » ومصوَّر على حيطانهما مار مارون ومار قبريان بالتيجان على رؤوسهما والدروع على اكتافهما ». فيا ليت اصحاب الامر يتولّون هذا العمل وينتزعون التصاوير من تحت الردم ولنا الأمل انهم يلقون مع التصاوير كتابات قديمة بالخط الاسطرنجيليّ تفيدهم علمًا عن اخبار قديسي الكنيسة المارونية.

اماً تصاوير كنيسة رشكيدا فقد باد اكثرها الّا ما يراهُ الناظر في جهة الحراب وهي رؤوس متقنة التصوير تدلُّ على ما كان ثمَّت من النقوش الجميلة

ومن الكنائس المزخرفة بالتصاوير كنيستان على اسم مار جرجس في اهدن وعبدلّه وكنيسة مار تادروس في بجديدات قد صبرت على عوارض الزمان ولو اراد السكّان لأمكنهم ان يجدّدوها بعد ازالة الملاط الذي يحجب قسماً منها مع صيانتها عن الرطوبة . وممّا يُرى في جدران مار تادروس صور الكروبيم يحملون بين ايديهم تسبحة التقديس (Trisagion) مكتوبة بحروف اسطرنجيليّة ولبقيّة تصاوير هذه الكنيسة كتابات سريانيّة تُعرّف موضوعها واسماء الاشخاص المصوّرين فيها . فلا يخلو البحث عنها من الفائدة

وكنت ارغب كثيرًا في زيارة كنيسة مار سركيس المجاورة لشبطين لأني ما كنتُ قرأتُ في بعثة فينيقيّة لرينان (ص ٢٥١) انّ هذه البيعة مجمّلة بتصاوير بديعة ظنّ انها ترتقي الى القرن السابع او الثامن تمثّل على زعمهِ السيد المسيح ورسلهُ الابرار وأردف انّ وراء الهيكل قد بقي منها صور رؤوس جميلة . فزرتُ الكنيسة الّا اني لم اجد لهذه التصاوير اثرًا البتّة

وفي كفر شليمان معبد صغير غريب الشكل نُقر في الصخر يدعى سيدة تايا (١ وقد تبيّن لنا من فحصها انها كانت سابقًا مدفنًا ثمّ جُعلت معبدًا (٢ . استدللنا على ذلك بصغر المعبد وهيئتهِ وارتفاعهِ فوق الحضيض بعدّة اذرع . وترى في سقف هذا المعبد فوق مذبحهِ وعلى جناحي الهيكل نقوش وتصاوير اسود قسم منها بسناج السُرُج وهبوة البخور الذي يوقد امام صورة العذراء هنالك . وفي الزاوية القريبة من الباب صليب في تربيعهِ كتابة يونانيّة مؤدّاها : « قد انتصر يسوع المسيح » . وعلى شمال الصليب صورة رامٍ بالقوس . وعلى يمينه وحش غريب لعلّهم ارادوا بهِ الشيطان الرجيم فيكون المصوّر اشار بذلك الى انتصار المسيح على قوّات الجحيم بصليبه

وقد ذكر الدويهي في تاريخهِ كنائس أُخر تزينها التصاوير القديمة لم يبقَ اليوم منها

١) لعلّ هذه اللفظة يونانيّة الاصل « νέα » اي جديدة فيكون المعنى « السيدة الجديدة »

٢) ويقرب السراية المبنيّة حديثًا في قرية ايون كنيسة مثل كنيسة كفر شليمان على اسم القديسة مارينا كانت ايضًا مدفنًا ثمّ حُوّلت الى معبد

شيءٍ.. وما يزيدنا اسفاً على فقدها انَّ نقوش بعضها كانت مؤرخة كبيعة مار نهرا في اده من بلاد البترون فانَّ تاريخها كان يرتقي الى سنة ١٥٧٥ لليونان اي ١٢٦٣ للمسيح (راجع الدويهي ص ١١٢)

وان سأل سائل من اي طرزٍ كانت النقوش والتصاوير التي سبق ذكرها اجبنا انَّها كانت كلها من الشكل البوزنطي فانَّ من يقابل بينها وبين النقوش البوزنطيَّة من حيث طريقة التصوير والالوان وهيئات الاشخاص لا يرى بين الطرزين اختلافاً يُذكر فيحكم بلا شكٍّ ان مصوّري هذه التصاوير اخذوا الفنَّ عن البوزنطيين كما تلمح الى ذلك الكتابة اليونانيَّة التي في كنيسة كفر شليمان. امَّا اصل هؤلاء المصوّرين فنظنُّ انَّهم كانوا من الشام كفى دليلاً على ذلك الخطوط السريانيَّة المحدقة بالصور

وقد بقيت عادة الموارنة على نقش كنائسهم في لبنان زمناً طويلاً. اخبر الدويهي (ص ١٨١) في تاريخ سنة ١٥٨٧ ان الخوري اطون من بيت الجبيل بنى كنيسة مار عبدا في قرية بكفيا وصوَّرها على يد الشدياق الياس الحصروني وانفق عليها الف قبرسيّ ما عدا أكلاف اهل بكفيا وغيرهم من المحسنين ». ولا بدع انَّ هذه التصاوير كانت محكمة الصنع لعظم المبلغ الذي صرفهُ باني الكنيسة

كذلك زيَّن الحبر الجليل اسطفان الدويهي كنيسة قنُّوبين بالتصاوير والنقوش. بقيت منها الى اليوم صورة العذراء امّ الله ترى عند اقدامها بطاركة الموارنة جاثين امامها. بيد انَّ هذا التصوير ليس بمتقن على انَّهُ يلوح من خلالهِ انَّ صاحبهُ يحاول تقليد المصوّرين الفرنج

ويلحق بهذا الباب نقوش أُخرى كانوا الموارنة يحبُّون ان يزينوا بها كنائسهم وهي الفسيفساء. فهذه العادة وان كانت شائعة في بلاد كثيرة كانت في بلاد الشام أشيع واعمّ حسبنا ذكر الفسيفساء المكتشفة حديثاً في مادبا في متصرفيَّة الكرك وقطر المؤابيين القديم قد نُقش فيها رسم بلاد فلسطين

وكذلك كان صحن كنائس كثيرة للموارنة مجمَّلاً بالفسيفساء. وقد وقفت على صحَّة هذا الامر بنفسي في كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح فانَّ آثار هذه النقوش باقيَّة حتى الآن. وكان ايضاً لكنيسة كور التي هدمت منذ قريب ترصيع من الفسيفساء. افادنا الامر حضرة الابوين الفاضلين الخوري بطرس ارسانيوس رئيس

مدرسة مار يوحنا مارون والخوري بولس طعمه ومولد كليهما في هذه القرية

امّا كنيسة حدتون فقد افادنا عن فسيفسائها حضرة الاب نعمة الله ما يلي قال: «وكانت الكنيسة مبلّطة بصغار الحجارة المنقوشة وكان اجمل هذه النقوش في السكرستيّا ملوَّنة بالوان عديدة كالاحمر والاخضر والازرق والاصفر والسماجوني الخ والحجرُ فيها لا يكبر قطعًا عن السنتيمتر المكعَّب· ويستدلُّ على حُسن رسومها واحكام صنعها من ذات تركيب الحصى. امّا ارض الكنيسة فكانت مبلّطة بهذه الفسيفساء. الّا انها اقلّ اتقانًا. منها ايضًا دهليز الخارج فانَّ حجرهُ يكبر سنتيمترين»

هذا بعض ما تسنّى لنا جمعهُ عن فسيفساء الكنائس في لبنان ولا شكَّ ان بيعًا أُخرى قديمة كانت مزيَّنة بها فمن افادنا عن ذلك شكرنا لهُ فضلهُ سلفًا (ستأتي البقية)

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل اده اليسوعي (تابع لما سبق)

٢

قد مرَّ بك في المقالة السابقة (٩٣٦) تعريف الايقاع عمومًا وما لهُ من حسن الوقع في النفوس وكيف تقوم بهِ حقيقة النظم وقلنا ايضًا ان علم العروض لا يطلعنا على ايقاعات الابحر ولا يذكر قطّ قياسات الازمنة وطُرق تنسيقها انّما يكتفي باظهار الترتيب الذي يجب حفظهُ بين الاحرف الساكنة والمتحركة حتى يتألف منها كلام يلذّ سمعهُ. فكأنهُ بسط لنا مادَّة الايقاع وطوى صورتهُ. وقد رأينا ان الطريق الى كشف هذا السرّ ان نقابل بين الشعر والغناء لعلّنا نجد اتفاقًا بينهما في تأليف ايقاعهما ولذا ذكرنا بعض اصول الايقاع الغنائي فبقي علينا ان نرى مطابقتهُ للشعر ان امكن

ولقد كان الامر تسهَّل علينا جدًّا لو فطن العروضيّون بعد كلامهم عن اصول الايقاع التي هي كالاجزاء تتركَّب منها الأدوار واوضحوا لنا تلك الاجزاء وشرحوا الأدوار بالتفصيل ليُعرف من اي اصول يتألف كلُّ دور منها (١. ثمَّ ما يزيد الصعوبة اختلاف المسمَّى مع مطابقة الاسماء. ليس للرمل مثلًا صورة واحدة وقياس واحد عند المؤلفين

---

١) لم يذهل الفارابي عن هذا الامر لكن النسخة التي ترجمها كُسنارتن ناقصة . ثمَّ في كلام المؤلف ابهام

هذا واول ما يتحتّم البحث عنهُ هنا طريقة العرب لقياس الازمنة في شعرهم. ولمّا كانت هذه الازمنة كما بيّنّا هي ازمنة الحركات والسّكنات اي ازمنة مقاطع الحروف يمكن تحويل المسألة الى هذه: كيف تقاس المقاطع في الشعر العربي. امّا المقطع (syllabe) فهو كما جاء عند الاصوليين على نوعين: حرفٌ مع حركة نحو: « بَ نَ » ندعوهُ « المقطع المتحرّك » او حرفان ثانيها ساكن وندعوهُ « المقطع الساكن » نحو: « بَلْ مَا ». وذلك وفقًا لايقاع الغناء. وفيه ايضًا النقرات المتحرّكة والساكنة (١

واعلم انّ لقياس المقاطع طريقتين: فإمّا ان تعتبرها متساوية. وامّا غير متساوية. فان كانت المقاطع متساوية رجع قياسُ مقاطعها الى عدّها ليس الّا. فتتساوى جملتان زمنًا اذا تساوى عدد مقاطعهما. والنظم في هذه الطريقة يدعى مقطعيًا (versification syllabique). ومن هذا الجنس النظم الفرنسويّ

مثال ذلك البحر المعروف عندهم بالاسكندريّ (vers alexandrin) فهو عبارة عن ١٢ مقطعًا متساويًا تنقسم الى شطرين

C'é|tait | pen|dant | l'hor|reur | | d'u|ne | pro|fon|de | nuit

فلا فرق بين هذه المقاطع من حيث ازمنتها

امّا المقاطع غير المتساوية فلا يُلتفت فيها الى العدد بل الى القياس ويُدعى النظم المبنيّ عليها قياسيًّا (versification métrique) مثالهُ النظم عند قدماء اللاتين واليونان فان اخذت مثلًا البحر الذي يدعونهُ مسدّس الاجزاء (hexamètre) تجد انّ مقاطعهُ قسمان سريعة (◡) وقياسها زمن واحد. وبطيئة (—) وقياسها زمنان ثم انّ كل بيت من البحر المذكور يتألّف من ستّة اجزاء متساوية وكل جزء من ثلاثة مقاطع بطيء فسريعين (— ◡ ◡) يدعونهُ اصبعًا (dactyle). فيكون البيت على هذا الشكل :

(◡) — | ◡ ◡ — | ◡ ◡ — | ◡ ◡ — | ◡ ◡ — | ◡ ◡ —

ويسقط مقطعهُ الاخير. ويجوز في كلّ الاجزاء الّا الخامس بَدْل المقطعين السريعين

---

١) قال الفارابيّ (طبعة كسارتن ص ١٥٠): « والنَّقرة التي تعقبها وقفة تسمّيها العرب « النقرة الساكنة » والتي لا تعقبها وقفة ولكن يعقبها حركة الى نغمة أُخرى يسمّونها « النَّقرة المتحرّكة »

بمقطع واحد بطيء فيصبح الجزء الاصلي مؤلفًا من بطيئين (— — spondée). وسبب جواز ذلك انّ عدد ازمنة الجزئين (⏑ ⏑ —) و (— —) مع اختلاف عدد مقاطعهما يبقى ثابتًا لا يتغيّر فهو في الاول ١ + ١ + ٢ = ٤ وفي الثاني ٢ + ٢ = ٤

واعلم انّهُ يجوز اتفاق عدد المقاطع واقيستها فيتولّد جنسٌ ثالث من النظم يجمع بين الطريقتين وهو اجدر بان يُلحق بالنظم القياسي

٣

فاذا ثبتت لديك هذه المقدّمات عن النظم المقطعي وعن النظم القياسي سألنا عن الشعر العربي أيدخل في النوع الاول او حقّهُ ان ينظم في النوع الثاني ؟

لا شكّ انّ الشعر العربي ليس هو مقطعيًا فقط مثال ذلك هذان البيتان لابن الفارض :

يا ساكني نجدٍ أما من رحمةٍ لأسيرِ إِلفٍ لا يريد سراحا
فاذا ذكرتكمُ امِيلُ كأنّني من طيب ذكركمُ سُقيت الراحا

فان مقاطع البيت الاوّل تبلغ خمسة وعشرين عددًا. اماّ البيت الثاني فعددُ مقاطعهِ سبعة وعشرون. وكذلك يختلف عدد المقاطع بين الشطرين الاوّلين والآخرين. نعم انّ هذا الاختلاف بين عدد المقاطع لا يقع في كل البحور ولذلك قلنا انّ الشعر العربيّ ليس هو مقطعيًا « فقط » ولكن هذا يكفي لبيان قولنا انّ المقاطع فيه لا تُعدُّ فقط بل تقاس ايضًا. ثمّ وجود التفاعيل في النظم العربيّ يدلُّ على ذلك صريحًا. وزد عليه ما نقلناهُ سابقًا عن الفارابيّ (ص ٩٤٣) انّ الشعر العربيّ « ليس فيه ايقاع موصّل اصلاً »

فان كان للمقاطع في الشعر قياس تُرى ما هي الوسيلة الى معرفته ؟

اعلم ان في تنويع المقاطع وتقسيمها الى متحركة وساكنة دليلًا على انّ ازمنتها تختلف وان ازمنة المقاطع الساكنة اطول من المتحركة لأنّ الساكنة (كَلّا وبَلْ) تتركب في الحقيقة من مقطعين اولها متحرك ظاهرُ الحركة محسوسها والثاني خفيّ الحركة مُطبقها كالحرف المختلس عند الفرنج (syllabe muette). والحقّ يقال انّ الحرف الثاني لو لم يكن متحركًا بعض الحركة لاستحال النطق به

وكأنّي بك تقول أُسلّم لك بانّ المقاطع الساكنة اطول من المتحركة ولكن هل

للمقاطع الساكنة قياسٌ واحد وكذلك هل للمقاطع المتحركة قياس واحد وما هي النسبة بين القياسين

أُجيب ان تساوي الازمنة في المقاطع الساكنة كما في المقاطع المتحركة ونسبة الاولى الى الثانية يظهر ممَّا سبق ايراده عن الايقاع الغنائي(١ لانهم لَّما اقاموا مقطع « تَ » مقام الزمن الاول سريع الهزج ومقطع « تنْ » مقام الزمن الثاني خفيف الهزج اعتبروا في الواقع مقطع « تنْ » كضعف « تَ »

ولكن أتصحّ هذه القاعدة في الشعر كما في الغناء ؟ أُجيب انَّها تصحّ في بعض البحور كالكامل مثلًا والوافر فانَّ عددتَ التفاعيل الاصليَّة فيهما او الجوازات المأنوسة وجدتَ عدد الازمنة متساويًا على حدٍّ سوًى. فالكامل مثلًا تفاعيلهُ الاصليَّة « مُتَفَاعِلُنْ » ستَّ مرَّات. فيها خمسة مقاطع ثلاثة منهما سريعة « مُ تَ عِ » تساوي ثلاثة ازمنة ومقطعان بطيئان يساويان اربعة ازمنة والمجموع ٧ ازمنة. فان بدلنا « مُتَفَاعِلُنْ » بما يجوز فيها اي « مُسْتَفْعِلُنْ » لم تختلف الازمنة باسقاط النَّقرة الثانية. وبقي ايقاع الشعر محكمًا لانَّ بقاء عدد الازمنة من الشروط اللازمة للايقاع الموزون. فلا بأس اذن من اقامة « مُسْتَفْعِلُنْ » بدلًا عن « مُتَفَاعِلُنْ » وعدد ازمنة كليهما سبعة. وكذلك في الوافر يصحُّ اقامة « مَفَاعِيلُنْ » عوضًا عن « مُفَاعَلَتُنْ » لتساوي عدد ازمنتهما مع اختلاف عدد المقاطع

وان اعترض علينا احد انَّ « مُتَفَاعِلُنْ ومُفَاعَلَتُنْ » يدخل عليهما زحافات أُخر فتصيران مثلًا « مَفَاعِلُنْ ومُفْتَعِلُنْ » فيختلف عدد الازمنة في البيت بدخولها. اجبنا انَّ هذه الزحافات غير مأنوسة نحسبها ضربًا من الشذوذ او بالاحرى من الخلل

ولكن إنْ صحَّ هذا القول في الغالب عن بعض البحور ليس الامر كذلك في غيرها فانَّنا نرى البسيط مثلًا المركَّب من « مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ » مرَّات يبلغ عدد ازمنته ٤٨ زمنًا. لكنَّهُ يجوز في تفاعيله « مَفَاعِلُنْ » بدلًا من « مُسْتَفْعِلُنْ » و« فَعِلُنْ » بدلًا من « فَاعِلُنْ » بسقوط زمن من كلّ جزء. فتختلف الازمنة ويتلاشى الايقاع وهذا خلَلٌ فادح. فما قولنا ؟ اتكون القاعدة فاسدة مطلقًا ؟ كلَّا وقد رأيناها صحيحة على

١) راجع ما قيل سابقًا (ص ٩٦١) عن سريع الهزج وخفيفهِ

الغالب في الوافر والكامل (١). هل نقول انَّ العرب لم يبالوا بمثل هذا الخلل ؟ لا لعمري فاننا لا نسلم بما يسلب الشعر العربيّ رونقهُ مع ما نعرفهُ من سلامة ذوق الاقدمين.

ثمَّ كيف يقبل العقل انَّ العرب اجازوا في شعرهم ما لم يجيزوهُ قطّ في اوزان الغناء. قال صاحب الرسالة الشرقية في اوّل مقالتهِ الخامسة عن الايقاع: «اذا ازدادت نقرات احدى الجملتين على الاخرى ولو بنقرة (او زمن) فانَّهُ يخيل في النفس خروجاً عن اعتدال الوزن فلا تقبلهُ النفس فكيف بثماني نقرات او ازمنة (٢)». فبقي قول آخر وهو ان القاعدة مع صحَّتها ليست بكاملة وانَّ بين المقاطع المتحركة والساكنة نسباً غير التي ذكرناها. فيُقتضى علينا البحث عنها (التتمَّة للقادم)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت

٢ المطبعة العموميَّة الكاثوليكية

هذه هي قائمة الكتب التي طُبعت في المطبعة العمومية مُنذ لُقبت بالكاثوليكيّة:

١ (الكُتب الدينيَّة عموماً) ١ً مختصر المقالات اللّاهوتيّة للاب يوحنّاً بيرُوني اليسوعي. ثلاثة اجزاء (١٨٧٧–١٨٨١. ص ٥١٢ و ٥٨٤ و ٦٠٦) = ٢ً مختصر اللاهوت الادبي للاب يوحنّاً غوري اليسوعي جزءان (١٨٧٩–١٨٨٢. ص ١٠٧٤ و ١٠٦٢) = ٣ً العقائد المسيحيَّة لتعليم اولاد المكاتب الابتدائية (١٨٨١. ص ٤٧) = ٤ً ترجمة القديس مارون الراهب اب الطائفة المارونيَّة

---

١) قد حاول بعض العلماء من المستشرقين مثل غويار (Guyard) وهرتمن (M. Hartmann) حلّ هذا المشكل وسنورد ان شاء الله رأيهم في مقالة اخرى

٢) اطلب المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891, II, p. 292). قال ايضاً صاحب الرسالة الشرقية: «وبين الشعر والايقاع (ايقاع الغناء) تناسب من وجهٍ فانَّ كثيراً ممَّن لهُ ذهن وقّاد وسرعة هجوم على ادراك الحقائق ينشد البيت منصوفاً (؟) بل مكسوراً ولا يُحس بهِ وذلك امّاً بحسب اعتياد او بحسب نقص في الطبيعة او سبب آخر. كذلك الايقاع فانّاً نجد كثيراً ممَّن لهُ ذهن وقّاد وفهم ثاقب ورياضة وافرة في اصناف علوم شتَّى تتحرَّك اعضاؤهُ عند سماع الايقاع على هيئة غير موزونة». فيظهر من ثمَّ ان البعض يحسنون انشاد البيت فيوفُّون المواقع حقَّها من الازمنة بخلاف غيرهم ممَّن يسيئون الإنشاد بعدم مراعاتها

(١٨٨١ . ص ٦١) = ٥ ذخيرة الالباب في بيان الكتاب للعلّامة جنسان عرَّبهُ الخوري نعمة الله كرم (١٨٨٤ . ص ٨٣٠) = ٦ عنوان البيان وبستان الاذهان للخوري كرلوس مرتينوس . الجزء الاول عرَّبهُ الخوري بولس زغبي والقس بطرس التولاوي (١٨٨٤ . ص ٣٥٤) = ٧ قسطاس الاحكام تعريب الخوري نعمة الله كرم (١٨٩٠ . ص ٣٧٣) = ٨ كتاب التعليم المسيحي الروماني تعريب الخوري يوسف ضاهر البستاني (١٨٩١ . ص ٧٤٣)

٢ (الكتب الطقسيَّة) ١ المزامير (طُبع مرارًا) = ٢ فصول من رسائل القديس بولس الرسول بالكرشوني (١٨٨٦ . ص ٢٦٦) = ٣ كتاب الجنازات والمياس والطلبات البيعيَّة (١٨٨٤ . ص ٢٥٢) = ٤ عجالة من كتاب الحطب البيعيَّة بحسب طقس الكنيسة المارونية (١٨٨٣ . ص ٢٢٠) = ٤ نبذة تاريخيَّة في الفروض البيعية للسيد المطران يوسف الدبس (١٨٩٠ . ص ٨٧) = ٥ كتاب القداس الالهي بالسريانية (١٨٨٨ . ص ٢٤٠) = ٦ الناقور اليوبي من كتاب القدّاس الالهي (١٨٨٨ . ص ٥٧) = ٧ الشحيم الكبير (١٨٩٠ . ص ٥١٠) = ٨ كتاب رتب توزيع بعض الاسرار الالهية واحتفالات كنسيَّة (١٨٩١ . ص ٢٦١) = ٩ خطبة في اثبات وجود جسد ودم المخلّص في الاوخارستيا للسيد يوسف الدبس (١٨٩٣ . ص ٦٢) = ١٠ تقسيم الميراث له

٣ (الكتب المدرسية والادبية والعلمية) ١ مرقي الصغار ومرقي الكبار (١٨٧٩ . ص ٤٧) ٢ كتاب النقد البديع في فنّ البديع للخوري بولس عوّاد (١٨٨١ . ص ١٨٠) = ٣ خطاب في التاريخ العام لبوسويت عرَّبهُ شاكر افندي عون وعبدالله افندي البستاني ١٨٨٣ . ص ٣٤٤) = ٤ نبذتان من اثمار الدائرة العلمية المارونيَّة ١٨٨٣ . ص ١١٨) = ٥ مبادئ القراءة الفرنساويَّة لمزتلو غطّاس افندي (١٨٨٤ . ص ١٠٨) = ٦ ريحانة الانس في تهنئة سيادة المطران يوسف الدبس ١٨٨٧ . ص ٢٩٨) = ٧ كتاب صحَّة الدين للدكتور شاكر الخوري (١٨٩٠ . ص ٣٢٧) ٨ كتاب تاريخ سوريًا للحبر الجليل المطران يوسف الدبس اربعة اجزاء نحو ٢٢٠٠ صفحة (١٨٩٥–١٩٠٠) = ٩ عرفان الجميل لصاحب اليوبيل (١٨٩٧ . ص ٤٨٧ و 74)

٣ مطبعة المصباح (وهي المطبعة السابقة بعينها)

١ جريدة المصباح (١٨٨٠ – ١٨٩٩) = ٢ المنظومات الدريَّة في مدح الحضرة الدليَّة (١٨٨٦ . ص ١٧) = ٣ المنظومات في التهنئات (١٨٨٥ . ص ١٢) = ٤ مطبوعات قانونية ونفقيَّة عديدة لمزتلو نقولا افندي النقّاش

٤ المطبعة الكليَّة (راجع ما قيل فيها ص ١٠٠١)

١ ترجمان المكاتبات (تجديد طبعهِ سنة ١٨٧٣ . ص ٩٨) = ٢ انيس الجليس نظم يوسف افندي الشلفون (١٨٧٤ . ص ١٢٨) = ٣ طبيب العائلة للدكتور مورو (١٨٧٤ . ص ٩٦) = ٤ السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب للمعلم سعيد افندي الشرتوني (١٨٧٤ . ص ٨٦) = ٥ رواية ميّ لسليم خليل نقّاش (١٨٧٥ . ص ١٠٢) = ٦ روضة الرهبة في الاعمال التجربيَّة للمعلم سليم غالية (١٨٧٥ . ص ١١٢) = ٧ شرح القانون التجاري العثماني تأليف تيوفيل بيات عرَّبهُ الشيخ اسكندر دحداح (١٨٧٦ . ص ١٥٦) = ٨ السراج الوهّاج و منهاج لصيغة سنّة

الزواج للخوري انطون قندلفت (١٨٦٧. ص ١٠٦) = ٩ً قاموس الحساب لسليم افندي الرحيل (١٨٧٨. ص ٢٤٨) = ١٠ً نظام الاجراء لسليم افندي باز (١٨٧٩. ص ٢٧٠) = ١١ً نظام الاجراء لبتراكي افندي الوراء (١٨٨٠. ص ١٦) = ١٢ً كنز المكاتبات في الانشاء والمراسلات لداود افندي برتران (١٨٨٣. ص ٥٤)

٦ (المطبعة الشرقيّة) هذه المطبعة سبقت المطبعة العموميّة الّا انها لم تُعرف بالمطبعة الشرقيّة الّا بعدها. وإنشاؤها يرتقي الى سنة ١٨٥٨ كان صاحبها ابراهيم افندي النجار درس الطبّ في مدرسة مصر ثمّ في الاستانة العليّة فعيّنتهُ الحكومة السنيّة حكيمًا اوّل للمستشفى العسكريّ في بيروت. فتجوّل سنة ١٨٤٩ في اوربّة وطبع سنة ١٨٥٠ في مرسيليا كتابهُ « هديّة الاحباب وهداية الطُلّاب » في العلوم الطبيعيّة ثمّ رجع الى الشام ومعهُ مطبعة اشتراها في فرنسة مع ادواتها واُمّهاتها فاشتغل بها في بيروت. واكثر ما طُبع فيها الاوراق الرسميّة والنظامات البلديّة والفذالك التجاريّة وكُتب قليلة اشهرُها كتاب لصاحب المطبعة ابراهيم افندي في تاريخ سلاطين بني عثمان طبعهُ سنة ١٨٥٨

وفي سنة ١٨٦٣ توفّي صاحب هذه المطبعة واوصى بطبعتهِ الى السيد الجليل طوبيًّا عون مطران بيروت واخذ قسمًا من حروفها اخو المتوفّى حنا النجّار. وممّا نشرهُ فيها المطران طوبيًّا كتاب الانجيل الشريف ترجمة الثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات طُبع سنة ١٨٦٥ (ص ٢٩٦). ولعلّهُ طُبع فيها غير ذلك ممّا لم نقف على ذكرهِ

امّا حنّا النجار فانهُ اشترى مطبعة وجعلها عند ساحة البرج فعُرفت بالمطبعة الشرقيّة واشتغل بالحروف التي اتى بها اخوه وكانت اكثر اشغالهِ مع شركة طريق دمشق. وقد طُبع في هذه المطبعة بعض كتب نسرد هنا اسماءها على حسب تاريخها:

١ً رفيقة التاجر وشقيقة الدفاتر لحبيب افندي سعد (١٨٦٤. ص ٤٨) = ٢ً كتاب تسلية البلة اقتطفهُ امين فرح الفنبوب (١٨٦٤. ص ٤٠) = ٣ً اصول القراءة العربيّة والتهذيبات الادبيّة للقس لويس الصابونجي بحرف نفر مشكل (١٨٦٦. ص ١٥٠) = ٤ً كتاب رحلة باريس لفرنسيس فتح الله مرّاش (١٨٦٧. ص ٧٢) = ٥ً القوانين التجاريّة (١٨٦٧. ص ٧٤) = ٦ً المرآة السنيّة في القواعد العثمانيّة لمحمّد فؤاد باشا. عرّبهُ القس لويس الصابونجي (١٨٦٧. ص ٢٦٦) = ٧ً هداية الشبان الى عبادة القربان (١٨٧١. ص ١٦٨)

٧ (المطبعة المخلصيّة) هي مطبعة بيروت السابعة أُنشئت بهمّة الرهبانيّة المخلصيّة كان موقعها في المقام (الانطوش) الذي يسكنهُ الآن آباء هذه الرهبانيّة.

وفوق احد بابيه رخامة كُتب عليها «المطبعة الخاصيَّة سنة ١٨٦٥» وكان ذلك في أيام رئيسها العام الجليل الاب حنَّا كحيل. وكان رئيساً على مربط بيروت الاب الفاضل اسطفان صوصه. ولا يزال قسم من ادواتها القديمة موجوداً الى اليوم وقد ابتاع منها القسم الآخر الاديب خليل افندي البدوي صاحب جريدة الاحوال. امَّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة فنقسمها الى قسمين دينيّ وعلميّ على ترتيبها التاريخي :

١ (الكتب الدينية) ١ً متن المزامير = ٢ً الاكطويخس = ٣ً كتاب يشتمل على صلوات مقتطفة من السواعية وغيرها (١٨٦٨. ص ٢٨٨) = ٤ً الدرّ المنثور في تفسير الزبور للاب ارنودي (P. Arnoudie) اليسوعي ثلاثة اجزاء (١٨٦٨–١٨٦٩. ص ٥٦٤ و ٦٦٤ و ٢٧٨)

٢ (الكتب العاميَّة) ١ً طوق الحمامة في مبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجيّ الشهير (١٨٦٥. ص ٣٠) = ٢ً مبادئ علم القراءة العربيَّة (١٨٦٦) = ٣ً فاكهة الندماء في مراسلات الادباء للشيخ ناصيف (١٨٦٦. ص ١١١) = ٤ً الطراز المعلم ارجوزة في المعاني والبيان لهُ (١٨٦٧. ص ٢٥) = ٥ً حديقة الورد وهو ديوان الستّ وردة ابنة الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٧. ص ٤٦) = ٦ً الجمانة في شرح الخزانة وهو مطول في الصرف للشيخ ناصيف طُبع اولاً عند الاميركان ثم في المطبعة الخلَصيَّة (١٨٦٧. ص ١٤٠) = ٧ً الجوهر الفرد في موجز الصرف لهُ (١٨٦٧. ص ١١) = ٨ً ملخّص في الطبّ القديم للشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٦٨. ص ٢٤) = ٩ً نشائد من نظم الشيخ ناصيف (١٨٦٨. ص ١٢) = ١٠ً المدرسة الاسقفية لطائفة الروم الكاثوليك في زحلة (١٨٦٩. ص ١٠) = ١١ً مراثي الدكتور يوسف افندي الحاج (١٨٦٩. ص ٢٦) = ١٢ً النفحة الحزاميَّة من نظم معلميّ وتلامذة المدرسة البطريركية (١٨٦٩. ص ١٧ و ١٨٧٠. ص ٤١) ١٣ً لمحة الطرف في اصول الصرف للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٧٠. ص ١٧) = ١٤ً الاجوبة الجليَّة في الاصول الصرفيَّة لمحمَّد بك تلحوق (١٨٧٠. ص ١٢٦) ثمَّ طُبع في مطابع أُخر = ١٥ً الجدول الصافي في علم العروض والقوافي للقس جرجس منسَّا النسطاوي (١٨٧٠. ص ١٠٤) = ١٦ً وفي هذه المطبعة ظهرت اوَّلاً مجلَّة النحلة في ١١ ايَّار سنة ١٨٧٠ (راجع ص ١٠٠٠)

الشهامة في حب القريب

تعريب المعلم الفاضل يوسف ابي سليمان مدرس العربيَّة في كليَّة القديس يوسف

اخبرنا من شهد الحوادث المشؤومة التي جرت في فرنسة سنة ١٨٧٠ قال : إنَّا لفي اواخر تشرين الاول واذا بشرطيّ على فرس يجري بهِ جريًا حثيثاً قد اتى قرية من اعمال فرنسة وذهب توًّا الى بيت الشيخ فلم يرَ غيرَ ربَّة المنزل حاملًا ولداها.

فعلق يجول في البلدة وهو لا يصادف سوى الشيوخ والنساء والاولاد. فعلم انَّ الرجالَ قد خرجوا يتجسَّسون اخبار الاعداء. فإن هؤلاء كانوا منتشرين في تلك النواحي ينهبون كل ما وقعَ تحتَ ايديهم ويسلبون. ولم يطلِ الوقوفَ حتى قال:

« أيها الناس ألا إني اتيت من قبل قائدي ببلاغ رسمي الشيخ الجليِّ ومن حيث انهُ قد خرج مع بقيَّة الرجال فهاكم البلاغ: أنهُ في هذا النهار ستجتازُ في قريتكم فرقةٌ عظيمة من العساكر فاياكم ان تخالطوها في شي. لأنهُ قد فشا فيها داء الجدريِّ فاذا مرَّت بكم ستضرب المضارب في محلٍّ منفرد تجعل فيهِ مستشفيات لكل من أُصيب بهذا الداء المشؤوم. فمن شاء ان ينجو من شرِّ هذا الضيف الثقيل فليعمل بموجب هذا البلاغ ومن آثر الموت فليخالفهُ والسلام ». ثمَّ سار في حال سبيله

فما اتمَّ كلامهُ حتى شملَ الناس الذعرُ والخوف فثار ثائر البعض وطفقوا يلعنون الجنود ويسبُّون العساكر. وكنت ترى السُّكان باسرهم يجتمعون جماعاتٍ جماعات ويتداولون في مسئلة الوباء الوبيّ. ثمَّ ما لبثوا ان هرعوا الى بيوتهم وفي قلب كلٍّ خوف ووجلٌ

وما دخلوا البيوت حتى رأوا عن بُعد فرقة الجند قادمين البلدة فاشتدَّ قلق السكَّان وعلت الصيحات: يا للداهية الدهياء! جاء الجدورون! جاء الجدوررون!

وللحال اغلقوا الابواب فصارَ سكوت ولا سكوتَ المقابر في ليلةٍ قمراء. فوصل العسكر رويدًا رويدًا والكلُّ رؤوسٌ منكَّسة وعيونٌ دامعة وقلوبٌ هامعةٌ يجرُّون ارجلهم جرًّا لشدَّة التعب وثقل الوباء. وكانوا في غاية الترتيب والنظام فلم يقرعوا باباً قطُّ ولا انحاز احدٌ منهم عن صفّهِ بل كانوا يلتفتون الى حواليهم حينًا بعد حين والأسف ملءُ القلب ملءُ الصدر لما غشيهم من القنوط وخيبة الأمل. فناهيك بهِ من مشهدٍ يفتِّتُ الاكبادَ ويمزِّق القلوب!

وما زالوا سائرين سيرًا بطيئًا حتى قطعوا المنازل وجاوزوها. ألَّا انهُ لمَّا انتهى ساقة العسكر الى آخر بيتٍ سقط على الحضيض بين ايديهم جنديٌّ قد ضعفت قواهُ وانتقص عددُهُ فلم يعد يستطيع أن يخطوَ خطوةً واحدةً. فاخذ المنكودَ الحظِّ رفاقُهُ ووضعوه على عتبة ذلك البيت وانصرفوا. فاخذَ هو يقرعُ الباب عبثًا ولا يقوى على النطق بحلوةٍ ولا مرةٍ لشدَّة ما اصابه من الألم المؤلم

ولما توارى الجيش عن العيان فتح ربُّ البيت الباب وخرج هو وحليلتهُ وابنتهُ وحملوا الجندي بين ايديهم ونقلوهُ من هناك الى الجادَّة العظمى وألقوهُ تحت سنديانة طويلة الأغصان كثيفة الافنان وكرُّوا راجعين أسرع من البرق فدخلوا المنزل واغلقوا البـاب واوصدوهُ

وكان احد الضباط قد عادَ الى القرية ليُطلع شيخ الحلّ على أمر العليـل. فأتفق أنهُ لقي في طريقهِ خادم الرعيَّة « الخوري » راجعاً من سفرة لقرية قريبة ولا علم لهُ بشيء مما حدث. فاخبرهُ الضابط بسوءِ الحال وشؤم المصير والحَّ عليهِ ان يُعلم الشيخ بامر المريض المدنف

ثمَّ ان الكاهن انطلق في اثر الضابط ليطلبا الجندي المصاب حتى اتيا جميعاً ذلك الموضع فلم يجدا لصاحبهمـا اثرًا. فتولاهم الاندهاش واخذ منهم الذهول مأخذهُ. ولم يكن كطرفة عين حتى فتح صاحب المنزل نافذةً تشرف عليهما فاطلَّ منها رأسهُ وأومأ اليهما أن « ضالَّتكما تحتَ الشجرة الكبرى بجانب الطريق » وخفَّ فاطبقَ النـافذة. وحينئذٍ انصرف الضابط مودّعاً

أمَّا الكاهن فنحا نحو الشجرة وهو يحدق حواليهِ فلا يرى شيئًا ويُصغي فلا يسمع ركزًا كانهُ ماشٍ بين قبور داثرة او منازل دارسة

فبلغ الشجرة المشار اليها فوجدَ الجندي المجدور في حالةٍ تفتَّتت لها كبدهُ شفقةً وحنانًا. ثمَّ جعلَ يضربُ ببصرهِ يمينًا ويسارًا لعلَّ طائر بصرهِ يقع على رجلٍ يعاونهُ على نقل هذا المسكين الى بيتهِ. فما كان يلوح لهُ غيرُ تمايل الأغصان ولا يطرق أذنيـه سوى حفيف النسيم وتغريد الاطيار كأن الضيعة قد اصبحت قاعاً صفصفاً لا يأويها الّا البوم والغربان

ثمَّ إنهُ انحنى نحو ذلك الجندي المتعوس الطالع وجسَّ نبضهُ وقلبه فألفـاهُ حيًا يدقُّ قلبهُ دقًا خفيفًا. فأنهضهُ من الارض واخذه بين ذراعيه وضمَّهُ الى صدره ثمَّ حملهُ وسارَ بهِ حثيثًا حتى اتى منزلهُ وهو لا يكادُ يعي من شدَّة ما لحقهُ من التعب. فأضجع المحتضَرَ على فراشهِ الخاصّ وصلّى الى الله صلاةً قصيرة حارَّةً يلتمس نجاتهُ

وما نشبَ ان دخلت عليه العجوز قيمة المنزل وهي تتحوَّى كالأفعى فصاحت: مولاي لقد اضطربت الرعيَّة. . ولولا اعتبار الناس لك وإجلالهم لشخصك لهـ... ماجوا

واحدثوا من القلاقل والبلابل ضروبًا والوانًا · فإنهم حانقون حنقًا لزعمهم أنك جئت الى دارك بجنديّ لا يلبث ان يسري دفين دائه الى سائر الناس فيفتك بالسكان فتكًا ذريعًا فويلًا لنا ! ألا تسمع الصيحات ؟ ألا تعبأ بالتهديدات ؟ إن القوم يكتنفون البيت. فيهلكوننا لا محالة !

فقال لها الكاهن بهدوء وسكينة : « سكّني روعك وان خفتِ على حياتكِ فاتركيني هنا وحدي وسيري الى احد الجيران واقيمي عندهُ بضعة أيام لترى ما يكون من امر هذا التعيس. ولا توافيني غيرَ مرتين في النهار كل مرةٍ تأتيني بالطعام الى الرواق الاسفل لا غير. ولا يدخل عليّ من احدٍ سوى الطبيب. ولستُ أخشى من خطر العدوى لانَّ الدار منفردة تحدق بها الحديقة فتجعل هواءها نقيًّا طيبًا. فكوني انتِ مطمئنّةً. وقد كتبتُ الى خادم القرية المجاورة ليقوم مقامي في خدمة الرعيّة ريثما يفرجنا الله. فارسلي لهُ هذه الرسالة. وابعثي هذه الرقعة الى الطبيب النطاسي ب.د... سيري رافقتك السلامة.. » فخرجت العجوز من عندهِ تقضي ما امرها بهِ وهي تدندنُ وتثرثر

ثمَّ ان كاهن الله انطلق حتى اتى دارَ الشيخ حيث اجتمع ابناء رعيتهِ زرافاتٍ زرافات. فلما اقبلَ عليهم ودنا منهم بُهتوا وتقهقروا مذعورين مرعوبين. فحينئذٍ دفع يمينهُ واشار الى ثلاث كلمات مرقومة في وجه الدار فجهر صوتهُ فيهم قائلًا: أفلا ترون ما سُطِّرَ على باب دار شيخكم ؟ الحرّيّة ! المساواة ! الإخاء ! أوَ لستُ بحرّ في مساعدة القريب ؟ أفما هذا الجندي التعيس بمساوٍ لي في الجنسيَّة ؟ أوَ لسنا احرارًا بان نخلّصهُ من أظافر المنيَّة رعايةً لحقِّ الاخاء ؟ فاين علامات إشعاركم بحرمة الاخاء يا ذوي الالباب ؟ ومتى عهدتُ قلوبَ اخوتي الفرنسيس منحوتةً من الصخر الأصم ؟ امَّا أنا فلست بناسٍ انَّ الراعي الصالح يبذلُ نفسهُ بدلَ نعجةٍ واحدة تضلُّ من قطيعهِ

فقال بعض الحضور بهزءٍ : لكن هذا الجنديَّ ليس من ابناء رعيتك

فاجاب الكاهن : وقد لعبت برأسهِ حميَّا الشهامة والحماسة : « اليوم رعيّتي فرنسا التعيسة بأسرها... ان ابناء رعيّتي هم كل هؤلاء الجنود الذين يموتون في حومة الوغى مدافعةً عن حياتكم يا أشباهَ الرجال. واعلموا أنّي انا لا أدَع هذا المسكين يموت في قارعة الطريق بل افديهِ بحياتي »

ثمَّ انهُ انطلق الى منزلهِ ففرش فرشه وسوَّاهُ جيّدًا وأرقد المريض فيهِ وشرع يعالجهُ

بجميع العلاجات الواقية التي كان يعرفها اذ ان الكهنة عادة بعض إلمام في علم الطب وربما كانوا من الأساة المشهورين المعتقد بهم ثمّ حانت من الكاهن التفاتة فرأى مُذكرةً (دفتراً صغيراً) قد سقطت من جيب الجندي . فتناولها وقرأ عليها ما نصّهُ :
« يوحنا الحرّاث من اعمال فرنسا ولد في ١٣ حزيران سنة ١٨٤٩ »

فادنى فاهُ حينئذٍ من أذن الجندي وقال : « حبيبي يوحنا . . يوحنا حبيبي . . اجبني . . »
فتنهد المحتضر تنهداً خفيفاً مشعراً بانهُ لم يزل في قيد الحياة . . . فسجد الكاهن على ركبتيه واخذ يصلي والدموع تتناثر من مآقيه

وفيما هو يصلي فتح يوحنا عينيه وردد طرفهُ في اطراف المقصورة وتنفس الصُعداء قائلاً : أُمّاه

فقال الكاهن : ليس لكَ من أمٍّ ههنـا . . لكنَّ اباك يسوع المسيح لا يهملك ويقوم عندك مقام أمٍّ انت قصيٌّ عنها

وبينما كان الكاهن يصلّي والعليل شاخصٌ الى صليب أمامه إذ فُتح البابُ ودخل الطبيب . فتحص المريض فحصاً مدققاً ثمَّ قال للكاهن همساً : « إنَّ مرضهُ عضالٌ معدٍ . ولا بدَّ لهُ من مُمرّضٍ يقوم بخدمته غيرَ ان معشر مواطنيك يسعون في إخراجه من بين المنازل وان اخرجوهُ خرجت روحهُ قبل ان يبلغوا به آخر الضيعة

الكاهن : — وان بقيَ هنا هل من رجاء في شفائهِ ؟

الطبيب همساً : — لا يُنجيه من مخالب المنيّة الّا المعجزة

ثمَّ انصرف الطبيب وبقيَ الكاهن ساهراً على ذلك المنكود الحظ اربعين ليلة واربعين يوماً من غير ان يضطجع في فراش بل كان جالساً قبالهُ على كرسيٍّ ليلَ نهار الى ان زالَ عنهُ الخطر وابلَّ من مرضه ونقه بمعجزة الهيّة

والاغرب من ذلك أنهُ لم يُصَب في كل القرية الّا ابنة لذلك الرجل الذي لم يشفق على من طُرح على عتبة بابه من ابناء جلدته وهو يموت في سبيل الدفاع عن وطنه فاشتدت عليها وطأة الداء حتى افقدتها حُسنها وجمالها وصيرتها من اقبح الناس صورةً . فكأنَّ الله قد سمح بذلك وأبى الّا حياتها عبرة لمن يعتبرون وموعظةً لمن يتعظون

ولمَّا ان شُفي الجنديُّ تمامَ الشفاء تقدم من الكاهن مخاصه وخرَّ جاثياً على قدميه

وطفق يقبّل يديه ويباها بدموع الشكر وعرفان الاحسان ثمَّ قال: «ابتِ الجليل ألتمس منك ان تفسح لي في العود الى أمي لاراها لحظةً قبل ان انضمّ الى الفرقة التي انفصلت عنها»

فتأثّر الكاهن الغيور غاية التأثير وبارك حبيبه يوحنا وسلّم اليه رُقعةً عطلة كان قد استمدَّها لهُ ودفع اليه رسالةً من امّهِ ولم تكُ عرَفت بمرض ابنها ومُصابهِ أصلاً

فخرج صاحبنا يوحنا من عند راعيه وحاميه وكلُّه لسانٌ ينطق بثناء الجميل وجميل الثناء على من ردَّ عليهِ حياته او كادَ

وبعد أيام قلائل خاطب صادق الطبيب الكاهن فقال لهُ: أوَكُنت تدري سيدي بانك تعرض نفسك للهلاك المؤكد بضيافتك لرجل أصابه داءٌ دفينٌ عضال؟

الكاهن: — كنت اعلم ذلك حق علم ولكنني ما كنت لأنسى أنَّ الراعي الصالح ينبغي لهُ أن يبذل نفسهُ دون رعيتهِ

أسلحة الصيد

بقلم يوسف افندي غنام ثابت

وعدنا في مقالتنا عن الاسلحة الناريَّة (المشرق ٣: ٨٧٣) ان نُفرد فصلاً للكلام عن اسلحة الصيد فنقول: انَّ هذه الصناعة مع ما حازتهُ في الاصقاع الشرقيَّة من الترقي لم تبلغ في بلادنا ما بلغتهُ اليوم في المعامل الاوربيَّة

ولمَّا كانت غايتنا ان نُعطي كلًّا حظَّهُ من الثناء احببنا ان نبيّن هنا فضل الاوربيين من هذا القبيل بعد ان اثبتنا سابقاً فضل الشرقيين في الاسلحة الجوهرة والاسلحة الناريَّة القديمة. وغرضنا في هذا الوصف ان نوقف اهل بلادنا على أعمال الغربيين وجدّهم وعنايتهم في ترقية الصنائع والفنون. لعلَّهم يقتدون بهم وينشطون الى خدمة وطنهم

وما يصحّ قولهُ اجمالاً انَّ اسلحة الصيد الاوربيَّة قد فاقت شهرة على الاسلحة الشرقية وذلك بما اتَّصفت بهِ بندقياتهم من الرشاقة والخفَّة وسهولة الاستعمال وتعدُّد الطلقات وحُسن الاحكام الهندسيَّة فتفضل بكل ذلك اسلحتنا الشرقيَّة لاسيَّما وقد

تفنَّن فيها الاوربيُّون واكثروا من انواعها واشكالها لينال منهـا الخاصَّة والعامَّة والصغار والكبار ما يليق بهم بخلاف صَنعة بلادنا الذين لم يصنعوا الَّا البندقيَّات الكبيرة الضخمة الثمينة ولم يسعوا وراء الوسائل ليمكّنوا الجميع من اقتنائها

في اصل صناعة اسلحة الصيد عند الاوربيين وترقيها

قد رجَّحنا في مقالتنا السابقة (ص ٨٧٠) ان اصل الاسلحة الناريَّة من الشرق. وعندنا انَّ الاوربيين اخذوا قديمًا من الشرقيين البندقيَّة ذات الصوانة (ص ٨٧٢) واتَّبعوا فيها طريقتنا مدَّةً مديدة ولم يحكموا صنعها بادئ بدءٍ كما احكمناها نحن قبلهم ولعلَّهم اكتفوا باقرب الطرق واسهلها حرصًا على الزمن الثمين وتوفيرًا لمورد الثروة. لكنَّهم ما عتموا ان اهتدوا الى طرائق جديدة وتفنَّنوا في صنعها واخرجوا منها انواعًا تدهش العقول وتضاهي ابهى الاسلحة الشرقيَّة التي يتفاخر بها الامراء وتصان في خزائن الملوك. وقد استدركوا علينا في هذه البندقيَّات وصنعوها ذات طاقتين (جفت)

ولمَّا لم يجدوا سبيلًا الى اتقان هذه البندقيَّة القديمة وسئموا من كثرة ادواتها التي تستغرق الاوقات على غير طائل لاسيَّما أنها كثيرًا ما تكبو فيهـا الزناد ولا توفي بالمراد اجهدوا ذهنهم واسهروا جفنهم ليجدوا طريقةً تحسن مغبَّتها وتقلُّ مشقَّتها فتكون لهم الطريقة المثلى. فارشدهم الله الى اختراع بندقيَّـة الكبسول وناهيك عمَّا اختصَّ به هذا السلاح من المزايا دون البندقيَّات الشرقيَّة كسهولة الاستعمال وسرعة العمـل. وقد تأنَّقوا فيها غاية جهدهم حتى انهم لم يبقوا ضربًا من ضروب التحسين الَّا واودعوه اياه

ثمَّ مهَّد لهم اختراعُهم الكبسول سبيـلًا الى وضع اللفائف (cartouches) فكثُرت في تجهيزها الطرائق الحسنة فوضع «لوشه» بندقيَّتهُ الشهيرة. ثمَّ وجدوا افضل من ذلك واصطنعوا البندقيَّة المركزيَّة (fusil central) حتى قامت مقامها البندقيَّة الخالية من الزَّند والديك (hammerless)(١). ولم يزل كل صاحب معمل يُجهد فكرتهُ

---

(١) للزند (platine) قطع عناقة منها: الطبلة (corps de platine) والطاحون (noix) والقوس الكبير (grand ressort) والقطا. (bride) والتيك (gâchette à pivot) والقوس الصغير (petit ressort de gâchette) والديك (chien) والترمسة (vis de chien)



صورة البندقيَّة الغالية (fusil Idéal)

ليكتشف شيئًا جديدًا فاسفرت افكارهم عن نتائج حسنة واصبحت اختراعاتهم لا يضمها حصر ولا يفي بها احصاء. وان اجتزنا بما في مدينة "سَنت اتيان" وحدها من مشاهير السلاحيين لطال بنا الكلام ونكتفي بذكر ثلاثة من اكبر مصانعها التي طارت شهرتها عند الخاصّ والعام: الاول معمل المسيو برون لاتريج (Brun-Latrige) فيها اربعة انواع من بندقيَّات الصيد الحديثة الاختراع دعاها بأسماء تناسبها وهي: البندقيَّة البديعة (l'ingénieux) والبندقيَّة العجيبة (le prodigieux) وبندقيَّة برون باسم صاحبها (fusil Brun) والبندقيَّة الوطنيَّة (le national). والثاني معمل المسيو "ڤرنه كارون اخوان" (Verney-Carron f^res^) اشتهر فيها صنفان من البندقيَّات المعروفة بهمرلس (hammerless) احدهما لصاحب المعمل والآخر لانسون ديلي (H. Anson et Deeley). والثالث معمل مسيو ماديوس برجار لهُ اختراعان البندقيَّة الفريدة دعاها باسم عنقاء مغرب

(le Phénix) وبندقيَّة نمرود (le Nemrod) إشارة الى قول الكتاب الكريم ان نمرود كان جبَّار صيدٍ امام الرب (تك ١٠: ٨) ففي هذه المعامل الثلاثة كما ترى ثمانية انواع من الاختراعات الجديدة لاسلحة الصيد ولو عددنا الاشكال التي ينطوي عليها كل نوع منها لبلغنا خمسين شكلًا ونيفًا وهي تُباع باثمان مختلفة. وقس على معامل سنت اتيان ما أُنشئ من المصانع السلاحيَّة في مدن كثيرة من فرنسة وانكلترَّة والمانية وخصوصاً بلجكة الشهيرة بتسهيل طرق التجارة ومهاودة الاسعار

البندقيَّة المثاليَّة

ولئلَّا يبقى كلامنا عن اسلحة الصيد وصفاً اجماليًا لا يقتبس القارئ من فوائده الَّا النَّزر القليل احببنا أن نصف لهُ هنا بندقيَّة جديدة حازت قصبات السبق على سائر اخواتها وقد اختبرنا بنفسنا ما اطرأها بهِ ارباب الخبرة من المديح. فوجدناها حقيقةً تفوق الاختراعات الفرنسويَّة السابقة والبندقيَّة الانكليزيَّة همرلس الموصوفة بالجودة والفضل ألا وهي البندقيَّة المثاليَّة (fusil idéal) التي اخترعها «معمل الاسلحة الفرنسويّ في سنت اتيان Manufacture Française d'Armes de S^t-Étienne (Loire)» وهاك وصفها كما وجدناهُ في قائمة هذا المعمل الاخيرة:

كان اوَّل ظهور هذه البندقيَّة سنة ١٨٨٠ اخترعها احد مديري «معمل الاسلحة الفرنسويَّة» فنال بها امتيازًا لئلَّا يأخذ غيرهُ طريقتهُ فيجتني ثمرة اتعابهِ. على انَّ كثيرين من ارباب المعامل السلاحيَّة حاولوا تقليد هذه البندقيَّة بتحسين بندقيَّة الانكليز المذكورة سابقًا «انسون ودبلي» لكنَّ سعيهم لم تأتِ بالنجاح المأمول

وممَّا تمتاز بهِ البندقيَّة المثاليَّة على غيرها بساطة ادواتها وقلَّة قطعها وهي تتألَّف من هذه الأقسام (راجع الشكل في الصفحة ١٠٤٢)

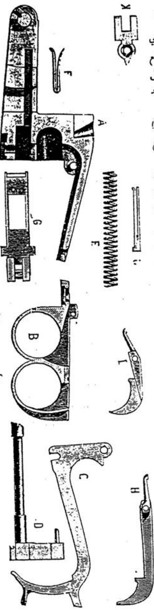
١° «القاعدة» (bascule. A) او الصدر وهو قطعة واحدة غاية في المتانة

٢° «المُخل» (levier. C) وهو حسن الإطباق للبندقيَّة سهل الفتح يركَّب في الصدر وفي خشب البندقيَّة معًا

٣° «الابرة» (percuteur. D) القائمة مقام الديك وهي مع بساطتها شديدة التركيب من الفولاذ المذوَّب. ويحركها

٤° «القوس» او القوام المستطيل (ressort à boudin. E) وهذا القوس هو نفسُ القوس المتَّخذ لبندقيَّة لُوبِل الحربيَّة

٥° «الستار» (le pontet. B) وهو مصنوع بدقَّة عجيبة بحيث تتقَّن فيهِ مصطنعهُ ليتلافى كل خطر يطرأ على الصائد لا سيَّما جرح اليد كما يحدث في البندقيَّات [illegible]. والقطعة K تابعة للستار



الأدوات التي تتركب منها البندقية المثالية

٦ « الزنابر » (les détentes. H I) هي لطيفة جدًّا ومتينةٌ للغاية تنوب بتركيبها عن قطع عديدة. ومن صفاتها انها لا تظهر الّا عند ما تصل البارودة. فلا يمكن انفجار البارودة لسهو الصائد او لقلّة حذاقتهِ

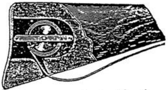
٧ « دليلا الدك » (indicateurs de chargement) هما ابرتان خفيّتان لا تظهران الّا بوضع الأُغلفة وتنبهان الصائد على دكّ بندقيّتهِ

٨ « الخشب » (crosse) وهو على طريقة ممتازة تفضل الطريقة الانكليزية بحسنها وثباتها

٩ « السكر » (verrou) مصنوع من الفولاذ الجيد يدخل في الحديد سنتيمترًا وهو يقوى على اكبر الدكأت على اختلاف جنس البارود وقوتهِ. ويُصنع لبعض اشكال من هذه البندقية اربعة سكورة. واما السكر الذي تحت الحديد (devant de bois) فهو نوعان: نوع منهُ ثابت ملتصق بالخشبة. ونوع آخر يسوغ فكّهُ. وكلاهما محكم الصنع

١٠ (J F) قوسان صغيران تابعا السكر

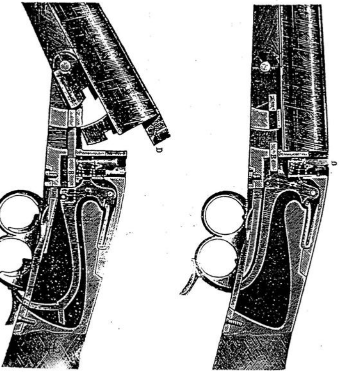
١١ « القشاط » (bretelle automatique) يُحمل ضمن علبةٍ ويلتفّ بواسطة قوام (زنبرك) لئلَّا يعيق حركات الصيَّاد (وهاك صورتهُ):



١٢ « مُجري البندقيَّة » (bande du canon.) من صفاتهِ انَّهُ يصوّب عين الصيَّاد الى المرمى فلا يكاد يُخطئ الرميَّة

١٣ « سكر الزنابر » (verrou de sureté) قد زيد هذا السكر على البندقيَّة المثالية مع استغنائها عنهُ زيادةً لوقاية الصيَّاد من كل خطر بعد دكّ البندقيَّة

هذه قطع البندقيَّة المثاليَّة فهي لا ينقصها شيءٌ من خواص الاسلحة التامَّة الاهبة البديعة التركيب مع خفَّتها وقلَّة اسعارها. ولذلك شاعت هذه البندقيَّة في كل انحاء اوربَّا واميركا. ولمَّا اطَّلع عليها اخي سليمان ثابت وتبيَّن خواصَّها الفريدة بعد تجوُّلهِ في معامل اميركا وفرنسة وانكلترة احبَّ ان يُتحف بلادنا بهذه الطرفة وتخابر مع اصحابها ليجعلوهُ وكيلهم في بيعها في سوريَّة. ولثقتهِ بجنسها قد ضمن لمن يبتاعها ان يصلحها على نفقتهِ اذا خربت. وقد زاد فيها اصحابها سكرًا قويًا لمن يحبُّون الدكَّات الكبرى لا يُفتح مهما كانت الدكَّة كبيرة



تشريح البندقيَّة المثاليَّة مسكَّرة

وما يحسن بنا ذكرهُ هنا انَّ أخي اطَّلع يوماً على فقرة في جريدة « الصيَّاد الفرنسوي » فحواها انَّ قوماً من مَهرة الصيَّادين طلبوا من مصطنع البندقية المثاليَّة ان يصنع لهم بندقيَّة من جنسها الا انَّها مفردة الطلق. فكان جوابهُ انَّ هذا ليس بممكن. فاخذ اخي سليمان يمعن في الامر ولم يكفَّ عن مزاولتهِ حتى انجلى لهُ تماماً فصنع بندقيَّةً من الطرز المطلوب من نحو ثلاث سنوات وعرضها على بعض العارفين فاستجادوها واثنوا على براعة صاحبها. غير انَّهُ لسوء الحظّ لا يمكنهُ بيع هذه البندقيَّة بثمن يوازي شغلها ولعدم وجود معمل في بلادنا يصطنعها بطريقة سهلة. ولعلَّ خبرها كان بقي مدفوناً لولا سنحت لنا هذه الفرصة لنشر اخبارها. وهاك صورتها



البندقيَّة المثاليَّة المفردة الطلق (لسليمان غ. ثابت)

ومن يفحص هذه البندقيَّة يجد صنعها في غاية البراعة والاحكام الهندسيَّة التي تقتضيها اسلحة الصيد فانَّ حركاتها سهلة رشيقة وادواتها قليلة كالبندقيَّة المثالية مع متانتها ولطف تركيبها ولا شكَّ انَّها لو شاعت في بلادنا فازت بالسهم المعلَّى

هذا ما امكن تدوينهُ اختصاراً عن اسلحة الصيد. وخلاصة القول انَّ أسلحة الصيد الفرنسويَّة عموماً هي اجود الاسلحة وارشقها واضمنها لحياة الصيَّادين. وقد امتازت بينهما البندقيَّة المثاليــة. على ان اهل الشرق لو ارادوا وتوفَّرت لديهم الوسائل لا يحجمون عن مُباراتها. ونطلب الى الله ان يبعث لنا رجالًا من المثرين اصحاب الهمَّة يفتحون للوطن ابواب النجاح وينهجون للصَّنعة سُبل الفنون التي تُحرز البلاد فخراً وتولي اهلها ثروة حقَّق الله تعالى الآمال انهُ الكريم المتعال

شهيد الدين في بلاد الصين

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

بينا كانت أنباء الشرق الاقصى تتوارد علينا فتثير في قلوبنا اللوعات على فقد ألوف من المرسلين الغيورين والنصارى الوطنيين الذين ذهبوا ضحايا همجيَّة البوكسير او فرانس ظلم المعتدين ألهم الله كنيستهُ البطرسية امّ الكنائس ومعلّمتها ان تعزّي قلوب المؤمنين وتقدم لمن بقي من اولادها الصينيين بعد نكباتهم المتوالية امثالاً يأتسون بهم واولياء يلوذون بحماهم لينالوا بشناعاتهم المشفعة قوَّةً تمكّنهم من الصبر على كلّ المحن والبلايا حفظاً لدينهم القويم

وهؤلاء الأماثل الأجلاء عبارةٌ عن جوقة شريفة من انصار الدين اهراقوا دماءهم في سبيل الايمان في اقطار الصين والتكين والقصنصين فنالوا اكليل الاستشهاد الذي طالما تاقت اليه نفوسهم وطلبوا الى الله ان يتوّج بهم هاماتهم

وعددهم يبلغ ٧٧ بطلاً منهم ثلاثة اساقفة وعشرة كهنة من المرسلين الاوربيين من رهبانيّات واخويات مختلفة و٢٩ كاهناً وطنياً ثم ٥٣ من المسيحيين المتنصرين حُكم على اغلبهم بالموت في النصف الاوّل من القرن الجاري في اماكن وازمنة مختلفة وكلّهم آثروا اصناف العذابات المرَّة والموت الزؤام على الكفران بدينهم فاضحى دمهم من بعدهم كزرعٍ خصيب استغلّت منهُ كنيسة الله بالفرح اكداساً نامية واثماراً طيّبة . ولذلك قد جمعتهم اليوم في اكرامها وأدرجت أسماءهم في سلك الطوباويين وسمحت للمؤمنين بان يقدّموا لهم مراسيم التعبّد التي تليق بأولياء الله

ولما كان هؤلاء الشهام أوفر من ان نستطيع بَسْط اعمالهم الجليلة في صفحات هذه المجلّة اخترنا منهم احدهم نعرض شيئاً من ترجمة حياته فيستدلّ القرّاء منها على فضل الباقين . والشهيد المذكور هو احد ابناء القديس منصور دي بول آثرناهُ على غيره لانَّ حضرات الاباء اللعازريين في البلدة يقيمون لذكره في اواخر هذا الشهر عيداً بهيجاً دُعيت اليه جميع الطوائف الكاثوليكيَّة فجعلنا هذه النبذة كمقدّمة للعيد تعرّف القرّاء بصاحبه وتحملهم على اداء فروض التجلّة لشخصه مع طلب شفاعته

*

يُدعى الشهيد المذكور فرنسيس راجيس كله وهو فرنسيّ الاصل والمنشأ. وُلد في غرانوبل من ايالة دوفيناي في ١٩ آب سنة ١٧٤٩. وفي غد مولدهِ صُبغ بمياه المعموديّة. وكان ابواهُ على جانب عظيم من التقوى متعبدَين لوليّ الله فرنسيس راجيس اليسوعي الذي كان شرَّف وطنهما بقداستهِ ومعجزاتهِ الباهرة في القرن السابع عشر فوُدا لو يسير ابنهما على مثالهِ فدعواهُ باسمهِ تيمّنًا وسهرا على سنيهِ الأولى بما امكنهما من الاحتياط وارضعتهُ أُمهُ مع الحليب افاويق التقى والفضيلة فنشأ الولد على الصلاح وخوف الله

ولمَّا بلغ اشدَّهُ انصبَّ في بلده على الدروس الاوليَّة والثانويَّة فبرَز فيها وكان في اثناء دروسه قدوةً لأترابهِ وفرحًا لاساتذتهِ يشيرون اليهِ بالبنان لفريد خصائلهِ. وثبت على حسن سلوكهِ الى ان انهى دروسهُ الادبيَّة والبيانيَّة. وكان يستطيع لو اراد ان ينال المراتب السنيَّة والمناصب الشريفة لكنَّهُ شعر بان الله يدعوهُ الى خدمتهِ فلم يصمّ الآذان لدعوتهِ تعالى وتأسَّى بامثال بعض اخوتهِ واخواتهِ واقاربهِ الادنَين الذين كانوا هجروا العالم ليهتمّوا بخلاص نفوسهم في الرهبانية

وكانت اذ ذاك اخويَّة الرسالة التي انشأها القديس منصور دي بول تُعطّر فرنسة بعرف فضائلها واعمالها العجيبة الآئلة الى خير النفوس فأحسَّ الشاب بصوت الله يدعوهُ الى هذه الاخويَّة فطلب الانتماء اليها في ٦ اذار من سنة ١٧٦٩ فأجيب ملتمسهُ ونُظم في عداد مبتدئيها وعمرهُ ٢١ سنة

ثمَّ ما مرَّ عليهِ خمس سنوات قضاها في امتحانات الطالبين وممارسة الفضائل الرهبانية وتتمَّة الدروس الفلسفية واللاهوتية حتى رُقي الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ رؤساؤهُ تدريس اللاهوت الادبيّ في مدينة أنسي فقام بهذه المهنة احسن قيام مدَّة ١٥ سنة متوالية واستلفت اليهِ انظار رؤسائهِ واحرز لهُ شهرةً كبيرة في بلاد سابوديا لسعة علمهِ وسموّ فضائلهِ وكان تلامذتهُ يدعونهُ المكتبة الحيَّة لما يرون فيهِ من المعارف الجمَّة والمدارك العالية

ولمَّا كانت سنة ١٧٨٨ وقع عليهِ اختيار الرهبان اخوتهِ لينوب عنهم في الجمعيَّة التي عُقدت في باريس لانتخاب رئيس عامّ جديد يسوس اخويَّة الرسالة وراهبات المحبَّة. فاسفر المجمع عن ترقية «كيلا دي لاغرد» الى هذا المنصب الخطير. الَّا انَّ الرئيس

الجديد ما لبث ان عرف فضل الطوباوي كله فانتدبهُ الى مهنةٍ تُعَدُّ في كل الرهبانيات من اشرف المراتب وأحرجها فانهُ وكل اليه تثقيف الشبَّان الطالبين الترهُّب في اخويَّة الرسالة. فباشر الاب كله هذا العمل بما امكنهُ من الغيرة وجعل يهتمُّ بهذه الأغصان الغضَّة يقوّمها ويُعنى بشؤونها لتنمو وتأتي يوماً باثمار الفضيلة وتبتهج باعمالها كنيسة الله

وبينما كان الطوباوي كله يخدم اخويَّتهُ بهذه الخدم الجليلة اذ استعرت في فرنسة تلك الثورة العظمى التي كادت تبيد الرهبانيَّات وتُميت روح الدين فنُهب دير القديس لعازر في باريس وتشتَّت شملُ رهبانهِ واضطرَّ رئيسهم الاب كله الى مفارقة اولادهِ الاحباب

لكنَّ عناية الله التي تقدّر الحوادث وتدبرها كما تشاء جعلت هذه الثورة وسيلةً لخلاص نفوس عديدة. فان القديس لمَّا رأى ما دهم بلده من الرزايا استرخص رؤساءهُ بان يذهب الى الشرق الاقصى ويبشر الوثنيين بايمان المسيح ولم يزل يكرّر طلبهُ حتى فاز بالمرغوب وأبحر الى الصين في اوائل شهر نيسان من سنة ١٧٩١ فبلغ جزيرة ماكاو مدخل المملكة الصينيَّة في اواخر تلك السنة مع شمَّاسين من اخويَّتهِ اسمها پِسنه (Pesnè) ولاميو (Lamiot)

*

قد سبق لنا في مقالتنا عن الصين والمسئلة الصينية (المشرق ٣: ٨٥١ و٨٥٢) ما ناله المرسلون الكاثوليكيُّون في تلك البلاد القاصية من النجاح في فلاحة كرم الرب وذكرنا خصوصاً تقدُّم النصرانيَّة على يد الرهبان اليسوعيين الذين نالوا بعلومهم وفضائلهم ما نالوا من الاكرام ورفيع المقام لدى ملوك الصين وتمكَّنوا بذلك من إعلاء منار الدين ونشر لواء الفضيلة بين الوف وربوات من عبدة الاصنام

فلمَّا كانت سنة ١٧٧٣ أُصيبت الرسالات الكاثوليكية بجرحٍ أليم في اقطار المعمور عموماً وفي مملكة الصين خصوصاً بالغاء الرهبانيَّة اليسوعية وكادت هذه الضربة تكون لازبةً لولا انَّ الله الذي يستطيع ان يقيم من الحجارة اولاداً لابرهيم (متى ٣: ٩) لم يهمل كنيستهُ في تلك المحنة العظيمة ولقيت الكنيسة بسلالة القديس منصور دي پول رُسُلاً شهاماً وعملة ذوي خبرة وثبات حفظوا ميراث الرب وزادوهُ ربحاً كما نرى ذلك رأيَ العيان في هذه البلاد وكلنا شهود على مساعيهم الخيريَّة واعمالهم المبرورة

واما الذين خلفوا اليسوعيين في رسالة الصين من الاخويَّة اللعازريَّة فكانوا ثلاثة اعني الابوين رو (Raux) و غسلان (Ghislain) والاخ باريس (Pâris) قدموا بكين سنة ١٧٨٤ واجتمعوا بمن بقي من اليسوعيين الاقدمين وتسلموا ادارة رسالتهم واتخذوا طريقتهم في التبشير. فكان بعضهم يشتغلون بالعلوم الرياضية والفلكية في بلاط الملك فينالون بمعارفهم عندهُ حظوى ويتزلَّفون الى الوزراء والاعيان وينتهجون بذلك لاخوتهم سبيلًا لنشر الدين في بقيَّة انحاء المملكة. فجعل الملكُ الاب رو ناظرًا على المكتب الفلكيّ وتقدَّم الى الاخ باريس بان يصطنع لهُ ساعةً جميلة ففعل

وفي تلك الاثناء بلغ الاب كله جزيرة ماكاو مع رفيقيهِ فانكبَّ على درس اللغة الصينية مدَّة سنة كاملة بغيرة لا تعرف مللًا فلمَّا تلقَّن منها ما تيسَّر لهُ آثر لنفسهِ في بلاد الصين رسالةً توفرت فيها انواع الاتعاب وضروب المحن فتوغل في معاملة كيانغ سي في جنوبي الصين بين معاملتي تشي كيانغ وهونان (راجع خارطة الصين في المشرق ٣ : ٧٤٣) واخذ يجمع المؤمنين المتفرقين ويرشدهم ويزوّدهم بالاسرار المقدَّسة رغمًا عمَّا كان يعترضهُ من العوائق في تتمَّة هذه الاعمال الخيريَّة

وبينا هو منعكفٌ على اعمال الرسالة لا يألو جهدهُ في هداية النفوس اذ أُصيب اثنان من المرسلين اخوتهِ بالمرض في معاملة « هو كوانغ » وكان عدد النصارى فيها وافرًا وهم في حاجة ماسَّة الى مرسلين غيورين فتصلهُ روساؤُهُ عن رسالة كيانغ سي وارسلوهُ الى هو كوانغ

وكانت هو كوانغ المذكورة اكبر ايالات الصين تشمل المعاملتين الحاليتين « هونان » و « هوبي » (راجع الخارطة) مساحتها تُربي على ٣٠٠٠٠ ميل مربَّع ويبلغ عدد النصارى فيها نحو عشرة آلاف نسمة وهم ساكنون في انحاء شتى بينهما مسافات شاسعة لا يقطعها الفارس الَّا بعد ايَّام طويلة واسفار شاقة

فلمَّا بلغ الطوباوي كله معاملة هو كوانغ وجد المرسلَين الوحيدين اللذين يبذران فيها بذر الايمان قد انهكت قواهما الاتعاب واضنكتهما الاسقام . فما استقرَّت قدمُ رجل الله في هذه الرسالة الجديدة حتى تحفَّز للعمل وشمَّر عن ساعد الجدّ فاخذ يتجوَّل تلك الجهات الواسعة ليجمع شتات المؤمنين بعد ما نالهم من حَيف الزمان وظلم الحكَّام وكان لا يدخر في انجاز عملهِ وسعًا ولا يصرفهُ عن غايتهِ عائق مهما

يكون . فانَّ الشدائد قويت عليه واكتنفتهُ من كل جانب حتى ساغ لهُ ان يردد قول الاناء المصطفى (٢ كور ١١: ٢٦) « كنتُ في الاسفار مرَّات كثيرة وفي اخطار السُيول وفي اخطار اللصوص واخطار الامم وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري ». وقد عاش هذه العيشة سبعاً وعشرين سنة حاملاً على عاتقيه في اكثرها اعباء الرئاسة وهو يتقدم اخوانهُ في كلّ ما يؤول الى مجد الله ونشر ملكهِ على الارض بين شعوبٍ جالسة في ظلال الموت ومتسكعة في ظلمات الجهل والشرك

وقد اكرمهُ الله بمواهب جليلة واظهر على يديهِ المعجزات الباهرة كشفاء المرضى وطرد الارواح النجسة من المعترين بها وإرواء الاراضي اليابسة بعد ابتهالهِ الى الله فجيدت ببركة صلاته بامطار غزيرة . وغير ذلك من الكرامات التي اعلت مقامهُ في اعين الصينيين واورثتهم رغبةً في اتباع الدين الحق

وكان القديس مع فضلهِ السامي يعيش بين تلامذتهِ واخوانهِ عيشةً ساذجة يعتبر نفسهُ كأدناهم وكخادم لجميعهم يتفانى في سبيل صوالحهم لا ينسى احداً الّا ذاتهُ وهو مع ذلك باسم الثغر سهل المعاشرة يسبي بلطفهِ قلوب من يقتربون من شخصهِ الكريم

وكان مع اشغالهِ الجمّة يحيي الليالي في الصلاة ويقضي امام القربان الاقدس ساعات متوالية يدعو الى الله لاجل قطيعهِ ويستمدّ نعمهُ لخلاص عبدة الاوثان . وربما كان يسكب وقتئذٍ العبرات السخينة ولا ينفكُّ عن التنهد والزفرات حتى يجيبهُ الربّ الى طلبتهِ ويعزّي قلبهُ بارتداد الخطأة الى التوبة والمشركين الى الايمان

*

ومن النعم التي كان رجل الله يلتمسها من مراحمهِ تعالى موهبة الاستشهاد . فان قلبهُ المضطرم حبّاً نحو فاديهِ لم يكن ليرضى بهذه الاتعاب والاوجاع التي كان يعانيها كل يوم في خدمة النفوس فضلاً عن امراض عديدة ابتلاهُ الله بها وانّما كان يرغب ان يسفك دمهُ لوجه خالقهِ ويثبت بموته الايمان الذي أعلن بهِ في تلك الاصقاع . فلم يزل يكرّر دعاءهُ الى الله حتى اشعرهُ بنيل رغائبه

ومذ ذاك الحين اخذ يعدّ المؤمنين ويقوّيهم ويتنبأ لهم بحلول الاضطهادات الوشيكة ودنوّ اجله . وجاهر بذلك يوماً اذ كان يُصلي بعد نهاية القداس فرأى عصفورين دخلا

الكنيسة وجعلا يغرّدان ويحومان حولهُ فأمسكهما ووضعهما في قفص وقال للحضور علانيةً: على مثال هذين العصفورين عمّا قليل سيقبض علىّ اعداء الدين ويودعوني السجن من اجل السيد المسيح

وفي اثناء ذلك أثار الوثنيّون سنة ١٨١٨ على نصارى الصين اضطهاداً شديداً وتهموهم بتهم باطلة ونسبوا اليهم ما كانوا براء منهُ . فحرقوا الكنائس ومثّلوا ببعض المؤمنين وهمّوا بان يقبضوا على المرسلين لينفوهم من البلاد او يحكموا عليهم بالموت

فبعث حاكم معاملة « هو كوانغ » شرذمةً من الجند ليقبضوا على المرسلين ويلقوهم في السجن . لكنّهم لم يجدوا في منزل الاباء اللعازاريين الّا كاهناً صينيًّا يدعى شان من اخوَّتهم فاقتادوهُ الى الحبس . امَّا الاب كليه فمع شوقهِ الى الاستشهاد لم يشاء ان يرمي بنفسهِ في الخطر قبل ان تأتي ساعتهُ فتمكّن من النجاة واختبأ حيناً في المغاور والجبال حتى بلغ مقاطعة « هونان » حيث ظنَّ نفسهُ في مأمن من المتعصبين فاخذ يزور النصارى ويشدّد عزائمهم فعلم بهِ احد المارقين من الايمان كان حرمهُ الاب كليه لسوء سلوكهِ فاغتنم الجاحد هذه الفرصة لينتقم منهُ واسلمهُ في اوائل سنة ١٨١٩ الى ايدي اعدائهِ كيهوذا الدافع .

فدخل الشهيد منذ ذاك اليوم في طريق الآلام والعذابات كابدها بما لا مزيد عليهِ من الشهامة رغماً عن طعنهِ في السن وضعف جسمه واسقامهِ المتنوّعة . وقد دامت هذه الاوجاع سنةً كاملةً بنيف لم يسمع احدٌ من فيهِ طول هذه المدة كلمةً واحدةً تنبئ بضجر او جزع او بغض لمضطهديهِ

ولو اردنا وصف ما احتملهُ رجل الله من اصناف الشدائد وقت آلامهِ لطال بنا الكلام واستنكف القلم من ذكر هذه الفظائع وحسبنا ان نقول انهُ سكن سبعة عشر حبساً وقطع المسافات البعيدة وهو مكبَّل بالقيود ولُكم مراراً على وجههِ ورأسهِ بالنعال واضطرَّ ان يجثو على ركبتيهِ ساعات مستطيلة فوق سلاسل حديديَّة الى ان يُغمى عليهِ من فرط الوجع

على انَّ هذه الآلام ما كانت لتُضعف نفسهُ الأبيَّة بل كنتَ تراهُ متهلّلاً في وسط العذابات كأنهُ يتنعَّم باشهى الملذَّات . ولهُ من حبسهِ رسائل تطفح بعواطف الحبّ لله والتواضع العجيب . وكان ينسى مصابهُ ليعزّي اخوتهُ المرسلين والنصارى المحبوسين معهُ

ويخفف اوجاعهم بكلامٍ احلى من الشهد. ويطلب الى الحكّام ان يختصّوهُ دونهم بالضرب والقتل ويسرّحوا عنهم

وامتثل الطوباوي مدّة اسره مرارًا امام الولاة الصينيين واعترف بايمانه جهارًا وأذهلهم بصبره الجميل وفضائله السامية حتى انّ بعضهم لم يتمالكوا عن الثناء على شهامته وعن اكرامه. ولعلّهم كانوا اطلقوا سبيلهُ لولا خوفهم من تقدمهم رتبهم وعزلهم عن مناصبهم فحكموا عليه بالموت شنقًا وصادق الملك على حكمهم

وكانت وفاة القديس في ١٨ شباط من سنة ١٨٢٠ قُتل في مدينة «اوتشانغ فو» عاصمة معاملة «هو كوانغ». ولمّا قادهُ الشرط الى محلّ العذاب خرَّ برهةً وجثا راكعًا يستحرُّ بالصلاة عند الصليب الذي كان هُيّئ ليُشنق عليهِ ثمَّ قام ببسالةٍ وتقدَّم الى الجلّادين بان يربطوهُ ففعلوا. قال كاتب ترجمة حياتهِ: «وجعلوا حبلاً ضخمًا في عنقهِ وشدّوهُ بعنفٍ ثلاث مرّاتٍ وبذلك اذاقوهُ مرارة الموت ثلاثًا. وفي المرَّة الثالثة اسلم الروح رافعًا عينيهِ نحو السماء بهدوٍ وسكينة. وهكذا تطايرت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السماويّة فتكلّل باكليل المجد. وبعد وفاتهِ اشرق وجههُ كالشمس واخذت الانوار تنبعث من جثتهِ على حين كان الظلام المدلهمّ منتشرًا على مدينة بكين والمدن المجاورة لها». وظهر غضب الله على قاتليهِ بعد زمن قليل فان امبراطور الصين صُعق في السنة ذاتها وحُكم على الوالي القاضي بقتلهِ بان يُنشر جسمهُ لخيانةٍ بدت منهُ وأُصيب القابضون عليهِ بميتةٍ سيّئة نسبها الكلُّ الى عقاب الله لهم

امّا المؤمنون فانّهم تمكّنوا من نقل جسم الشهيد خفيةً واودعوهُ اللحد باكرام واخذوا مذ ذاك الحين يزورون قبرهُ ويتبرّكون بذخائرهِ. وكان غير المؤمنين انفسهم يحجّون الى ضريحهِ ويطلبون شفاعتهُ وقد نالوا على يدهِ نعمًا عديدة فحص عنها الكرسي الرسوليّ فحصًا مدقّقًا. فكانت نتيجة هذا الفحص القانوني ان البابا غريغوريوس السادس عشر اشهرهُ مكرّمًا سنة ١٨٤٣ ونظمهُ اليوم الحبر الجليل لاون الثالث عشر المالك سعيدًا في سلك الطوباويين نفعنا الله بصلاتهِ وصلوات اخوتهِ الشهداء المكلّلين ***

مطبوعات شرقية جديدة

Materialien zu einer Geschichte der Sprachen u. Litteraturen des vordren Orients
herausgegeben von M. Hartmann, Heft I, Heidelberg, 1900

KURDISCHE STUDIEN, VON H. MAKAS SS, 54

ابحاث في اللغة الكردية

عشق الدكتور مرتين هرتمان كنشليار الدولة الالمانية في بيروت سابقًا لغاتنا الشرقية لا سيما ما رآهُ حيًّا منها فصرف قصارى همَّتِهِ في كشف اسرارها. ولذلك قد انشأ جنابهُ مجلَّةً جديدة دعا مشاهير اللغويين الاوربيين الى ان ينشروا فيها مقالات مطوَّلة في اللغات العاميَّة الدارجة في الممالك المحروسة وما جاورها من البلاد. ومضمون هذا العدد الاوَّل بحثٌ واسع في اللغة الكرديَّة كتبهُ الاستاذ ماكاس. والكرديَّة كما لا يخفى فرعٌ من الفارسيَّة شاعت بين قبائل عديدة متفرِّقة فطرأت عليها طوارئ الفساد وتشعَّبت شعبًا مختلفة. وفي التأليف الذي نحن بصددهِ نظرٌ في كرديَّة ولاية ديار بكر وكرديَّة جوار وكرديَّة اليزيديَّة. وللمؤلف في كلّ ذلك ملاحظات مفيدة تدلُّ على علم صاحبها باحوال الشرق. وقد استعار في مطاوي بحثهِ عن كرديَّة اليزيديَّة ما كتبهُ حضرة الاب انستاس الكرملي في مجلة المشرق في هذا الشأن (٢ : ٣١٢ الخ) واثنى على ناسج بردة هذه الطرفة المستطرفة

DIVAN DES FARAZDAK

Zweite halfte, von D^r J. Hell, *München*, 1900, ss. 27, - LXX.

ديوان الفرزدق (القسم الثاني)

لا يجهل احدٌ مقام الفرزدق بين شعراء الخلافة الامويَّة. قال يونس بن حبيب النحويّ: «لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث العربيَّة». على انَّ ديوان هذا الشاعر المفلق بقي زمنًا طويلًا ملقًى في زوايا النسيان حتى قام بعض افاضل المستشرقين الفرنسويين المعلم بوشه (R. Boucher) فباشر طبعهُ سنة ١٨٧٠ نقلًا عن النسخة الوحيدة المصونة في خزانة مخطوطات ايًا صوفيًا في دار السلام. فنشر منهُ بالطبع ٢٣٠ قصيدة او فقرةً عقَّبها بترجمة افرنسيَّة وحواشي مفيدة بيد انَّ الموت حال دون اتمام هذا

المشروع فبقي نحو نصف هذا الديوان مخطوطاً بلا طبع فوكل الدكتور هومل مدرس اللغات الشرقيَّة في مونيخ الى احد تلامذتهِ الدكتور ي. هِلّ (J. Hell) تريل كلّيتنا في السنة الماضية بان يستنسخ في الاستانة هذا القسم الباقي وينشرهُ فلبَّى المذكور دعوة استاذهِ لكنَّهُ حرصاً على اصل الكتاب من شوائب النسخ او المسخ آثر رسمهُ بالفوتوغرافيَّة. فنشرهُ على هذه الصورة والحقهُ بفهرسين مفيدين يتضمَّن الاوَّل قوافي الديوان باجمعهِ والثاني اسماء الاعلام الواردة فيهِ. فنحن نهنّئ تلميذ كلّيتنا السابق بباكورة اعمالهِ ونتمنى لهُ رواجاً وحظوى لدى العلماء (١

مبادئ العربيَّة للمدارس الابتدائيَّة

للمعلّم الشهير رشيد افندي الشرتوني

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة (١٩٠٠. ص ١٢٧)

هذا الكتاب مع صغر حجمهِ يستوفي شروط الكتب المدرسيَّة. فانَّ مؤلفهُ الشهير ضمَّنه خلاصة الصرف والنحو في صفحات قليلة. ومما استحسنَّاهُ فيهِ وضوح عبارتهِ وسهولة طريقتهِ فضلًا عن التمارين اللاحقة بكلّ فصلٍ من فصولهِ لترويض الطلبة وتثقيف عقولهم. جازى الله صاحبهُ خيرًا ونفع بلادنا بمعارفهِ الواسعة ل. ش

شَذَرَاتٌ

الزُّقورة — مرّ لنا في المشرق (٣:٤٧٨) ملاحظة في اصل هذه الكلمة التي نقلها الفرنج الى لغتهم بلفظها (ziggourat) ورجَّحنا انَّ اصلها من السريانيَّة «أهخُذا» بمعنى الحرز. وقد اطَّلعنا الآن على نبذة في هذا الشأن وردت في بعض المجلّات الاوربيَّة رُوي فيها انَّ اصل هذه الكلمة من الاشوريَّة مشتقَّة من «زقر»



الزُّقورة او برج السيّارات

١) وقد طُبع ايضاً ديوان الفرزدق في مصر في المطبعة الوهبيَّة سنة ١٢٩٣–١٨٧٦ في «مجموع خمسة دواوين من شعراء العرب». الّا انَّ هذه الطبعة كثيرة الخلل لا تحتوي الّا ثلثًا من شعر الفرزدق

اي علا وارتفع . والزُّقورة عندهم البرج كما ترى صورتها يريدون به هيكلاً كان الكلدان يشيدونهُ لأكرام السيَّارات السبع . ودعوهُ زقورة اي برجاً لذهابه صُعُداً في الهواء . ولا يبعد انَّ لفظي « ܐܚܕ » بالسريانيَّة و « زَجَرَ » بالعربيَّة علاقةً مع الاصل الاشوريّ

﴿ تركيب البراكين ﴾ قرأ الكيمويُّ الشهير ا. غوتيار (A. Gautier) مقالة مطوَّلة امام المجمع العلميّ في باريس بيَّن فيه تركيب البراكين فأرتأى انَّها ناتجةٌ عن التهاب الصخور المصهورة في باطن الارض لدى اتّصالها بنفاية المعادن (gangue) وبعض الحوامض. فأتخذ لذلك قطعة من الحجر المحبَّب (granit) فدقَّهُ دقّاً ناعماً حتى صار شبه الذرور ثم سكب عليهِ قليلاً من الحامض الفسفوريّ الممزوج بكميَّة وافرة من الماء فللحال انبعث من هذا الخليط غاز الحامض الكربونيك ثم الازوت وبعض الكربونات . وهذه الغازات هي نفس الغازات التي يجدها العلماء في البراكين المشتعلة الى يومنا كالشوف والإتنا

ثم كرَّر هذه التجربة على طريقة اخرى بانهُ وضع شيئاً من الغرانيت في انبوبة أقفلها باحكام وعرضها على النار الى ان بلغت درجة حرارتها نحو ٣٠٠ من ميزان السنتيغراد دون ان يمزج بها شيئاً فتصاعدت منها الابخرة السابق ذكرها وان كانت اقل منها وفرةً

فارتأى انَّ الصخور المصهورة التي تكوَّنت في بدء العالم من اخلاط المعادن دخل في تركيبها شيء كثير من هذه الموادّ البركانيَّة فاذا التهبت ثانيةً تطايرت منها الابخرة البركانيَّة المعروفة . وقد نسب الى هذا السبب عينه تولُّد العيون الكبريتيَّة في بعض البلاد

﴿ التيليفونوغراف ﴾ اخبر التيمس انَّ الاستاذ كُنبرغ (Kumberg) وجد طريقةً جديدةً لنقل الصوت دون سلك بحيث اذا وصل الى مكان معلوم ينطبع في القابل (récepteur) عند غيبة صاحبه فاذا عاد وادارهُ سمع الصوت كلَّما اراد

﴿ آلة جديدة لتركيب حروف الطبع ﴾ وجد الكاهن الكاثوليكي بُورغ (Burg) آلةً جديدة لتركيب حروف الطبع تمكّن من صفّ ٦٠٠٠٠ حرف في الساعة ويمكن استخدامها على طرق عديدة امَّا بنقل الحروف الى المِصَفّ (ستك) وامَّا بطبع ورق خصوصيّ تُؤثّر فيهِ الحروف بحيث يمكن حفظ الكتاب كما يُحفظ التنجيس

اوّل جريدة يوميَّة في سوريَّة بارادة سنيَّة — قلنا في العدد السابق من المشرق انَّ النجاح اوَّل جريدة يوميَّة ظهرت في سوريَّة انشأها يوسف افندي الشالفون قبل الاحوال بزمن مديد. فافادنا صاحب الاحوال انهُ لم يدَّعِ انَّ جريدتهُ اوَّل جريدة يوميَّة على الاطلاق بل انهُ مقيدها «بالارادة السنيَّة». وهو امر صحيح نسلّم به لانَّ الجرائد سابقًا كانت تُنشر دون «ارادة سنيَّة»

أسئلة وأجوبة

استفتانا حضرة القس ج. منش الحلبي عن كاثوليكية اسحق اسقف نينوى فكتب ما نصُّهُ:

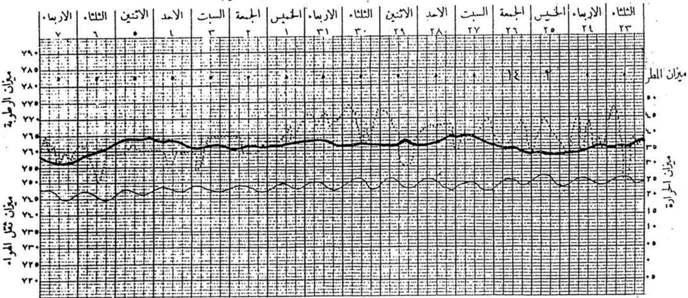
« اعلم ان هذا اسحق كان اسقفًا على نينوى «الموصل» واليها يُنسب. واشتهر في القرن السادس وكانت وفاتهُ (سنة ٥٨٠) وقضى آخر حياته في الانبار من بلاد العراق كما يظهر من كتاب العفَّة لابن طيبوثا الذي نشرهُ من عهد قريب الاب العلاَّمة شابو الفرنسوي لا في برية الاسقيط كما وهم الطيب الذكر المطران يوسف داود. ومن استقرى اقوال العلماء فيه علم ان بينهم خلافًا في عقيدته. فالمونسنيور يوسف السمعاني عدَّهُ في جملة الآباء الكاثوليكيين «المكتبة الشرقية مج١» وتابعهُ في هذا صاحب مقالة الكلدان الكاثوليك (المشرق ٣: ٨٢٠) والمطران يوسف داود الآنف الذكر اعتبرهُ يعقوبيًا في غير محل من مؤلفاته راجع خاصة مختصر تواريخ الكنيسة (ص ٣٩٣). ويستشفّ من كتاب العفة المذكور انهُ كان نسطوريًا. فاسأل المشرق الاغرَّ يفيدنا ويكشف عن الحقيقة الغمَّة » (المشرق) جوابنا في عدد قادم

س سألنا عن اوراق عديدة تُطبع في بيروت وتوزَّع في لبنان وهي تحتوي على صلوات يُنسب بعضها الى السيد المسيح او والدته عليها السلام وبعضها الى القديس قبريانوس او القديسة بريجتا وغير ذلك من الصلوات التي يُنسب اليها مفاعيل عجيبة ومواهب غريبة

صلوات عجيبة المفاعيل

ج نجيب اجمالاً انَّهُ لا يجوز للمسيحيين ان يتلوا هذه الصلوات او يحملوها او يعتقدوا بها على ايّ نوع كان الّا اذا وجدوها ممضاة باسم المطران كما هو مفروض من الكنيسة. وقد بلغنا انَّ قومًا يطبعون في بيروت هذه الاوراق لارباح خسيسة فيخدعون بها السُذَّج في قرى لبنان والمدن الداخليَّة. وهي بئس التجارة لانَّ اكثر هذه الصلوات لا صحَّة لها والأولى بان تُدعى خرافات عجائزيَّة ل. ش

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٣ تشرين الاول الى ٧ تشرين الثاني   ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) إمَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملِمترات